بنو إسرائيل... العبرانيون... اليهود

القرآن كلام الله{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [سورة النساء الآية: ١٢٢].

ولقد تناول كتاب الله{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [سورة فصلت الآية : ٤١، ٤٢]، أصل بنى إسرائيل وصفاتهم وسلوكهم وكيف فضلهم العليم الخبير لما أقاموا التوراة والإنجيل ثم ردهم أسفل سافلين لما بدلوا واشتروا بآياته ثمنا قليلا وقتلوا أنبياءهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير و...

كل ذلك فى نحو ثلث القرآن، كما أوضح القرآن كثيرا مما اختلف فيه اليهود{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [سورة النمل الآية : ٧٦].

نسب اليهود :

يرجع نسب اليهود إلى نبى الله يعقوب عليه السلام - كان اسمه إسرائيل -{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ} [سورة آل عمران الآية : ٩٣].

واشتقاق كلمة اليهود من قولهم:{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} [سورة الأعراف الآية : ١٥٦].

أى تبنا.

والهود : التوبة.

هاد : رجع.

ولزمها هذا الاسم من قول موسى عليه السلام :{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} أى رجعنا وتضرعنا وانتحلها اليهود المتمسكون بشريعة كليم الله، وهم أعم من بنى إسرائيل.

لأنه ليس كل يهودى إسرائيلى؛ لأن كل إسرائيلى فى حقيقته هو الذى

يعود إلى نبى الله يعقوب عليه السلام.

وكثير من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا فى اليهودية وليسوا من بنى إسرائيل كما أن هناك كثيرا من الإسرائيليين دانوا بغير اليهودية كالإسلام والمسيحية.

وعلى ذلك فإنه ليس كل يهودى إسرائيلى وليس كل إسرائيلى يهودى.

لقد كان لإبراهيم عليه السلام عدة أبناء كانوا آباء لأمم كثيرة فى بلاد شتى، أخصهم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، أما إسماعيل عليه السلام فإنه سكن بلاد العرب وكان من عقبه العرب المستعربة.

أما إسحاق عليه السلام فإنه أقام مع أبيه خليل الرحمن حتى مات، فكان الجد الثانى للعبرانيين - الذين عبروا دجلة والفرات - وخلف إسحاق ولدين : عيسو - العيص - ويعقوب وحل يعقوب محل أبيه ولقب بإسرائيل وإليه ينسب الإسرائيليون كافة.

ومنهم اليهود الذين استوطنوا يثرب وغيرها من جزيرة العرب.

اليهـــود :

هى الأمة المشهورة فى تاريخ العالم ببنى إسرائيل، رحلوا تحت قيادة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد.

كيف دخل اليهود مصر وتكاثروا فيها ؟

دخل بنو إسرائيل مصر مع نبى الله يعقوب عليه السلام، عندما بعث إليه ابنه يوسف عليه السلام عزيز مصر، فدخلوا مصر آمنين - باعتبارهم أخوة يوسف عليه السلام - وتكاثروا فيها أربعة قرون.

فرعون يضطهد بنى إسرائيل :

لما أرسل يوسف عليه السلام إلى أبيه إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وأهل بيته، وفد بنو إسرائيل إلى مصر ونزلوا بها، وراحوا يتغلغلون فى ربوع مصر، فاستولوا على منابع ثرواتها.

وما مضت ثلاثمائة سنة حتى امتلأت مصر ببنى إسرائيل، وأصبحت الثروات فى أيديهم، فلما رأى فرعون مصر أن بنى إسرائيل صاروا سادتها، فالأرض أصبحت ملك يمينهم، والصناعات تحت سيطرتهم، والأموال تتسرب من جيوب قبط مصر إلى جيوبهم وخزائنهم، أوجس فرعون مصر خيفة من اشتداد شوكتهم وقبضتهم، إنهم غرباء عن البلاد، ولو نشبت حرب بين فرعون وبين أعدائه لم لا ينضم بنو إسرائيل إليهم ؟ لو انتظر فرعون قليلا ربما سلبوا

مقاليد الحكم والسلطان من يده.. فلماذا ينتظر؟.

فكر فرعون مصر ورأى أن أفضل السبل لكسر شوكة بنى إسرائيل هو أن يجردهم من أموالهم التى هى أعز عليهم من أرواحهم وأبنائهم وأن يسومهم سوء العذاب{**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**} [سورة القصص الآية : ٤].

وبغى فرعون واستعبد بنى إسرائيل.

وجاء نبى الله موسى عليه السلام وطلب من فرعون أن يخرج ببنى إسرائيل من مصر، فكانت هزيمة سحرة فرعون وإسلامهم وخروج موسى عليه السلام باليهود إلى الشام.

كيف دخل اليهود يثرب ؟

جاء اليهود إلى يثرب فى فترات متباعدة جدا ترجع إلى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وذلك فى أواخر أيام كليم الله موسى وفى أوائل عهد نبى الله يوشع بن نون عليه السلام.

ثم هاجرت مجموعة كبيرة من اليهود إلى يثرب بعد خراب هيكلهم - هيكل سليمان عليه السلام - فى عام ٧٠م وتنكيل هدريان باليهود فى عام ١٣٢ م.

إن نبى الله موسى عليه السلام عند عودته من مصر باليهود إلى الشام بلغه أن قوما جبارين من العمالقة فى منطقة المدينة قد بغوا فى الأرض وساموا الناس سوء العذاب، فجرد عليهم حملة عسكرية من اليهود فاستأصل شأفة هؤلاء العماليق الجبابرة - كانوا من بنى هف وبنى سعد وبنى الأزرق وبنى مطروق، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له الأرقم ينزل بين تيماء إلى فدك - ولم يبق منهم إلا شابا واحدا هو ابن الأرقم اصطحبوه معهم ليرى فيه كليم الله رأيه، ولكن لما رجع هذا الجيش إلى الشام وجد موسى عليه السلام قد مات، فقال زعماء بنى إسرائيل :

- هذه معصية عصى بها نبى الله موسى.

ومنعوا الجيش من البقاء بينهم فى الشام وقالوا :

- والله لا تدخلون علينا الشام أبدا.

فتشاور قادة الجيش فيما بينهم واستقر رأيهم أن يعودوا بكامل جيشهم إلى المدينة ومعهم ابن الأرقم وقالوا :

- كان خير الناس منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز، نرجع إليهم فنقيم فى أرضهم.

فرجعوا وانتشروا فى نواحى المدينة كلها فاتخذوا بها الأطام والأموال والمزارع.

فكان أفراد هذا الجيش أول من سكن المدينة من اليهود.

الفترة الثانية التى نزح فيها اليهود إلى يثرب:

لما استولى الروم على بلاد الشام فى الفترة الواقعة ما بين سنة ٧٠-١٣٢ م وفتكوا باليهود ونكلوا بهم اضطر هؤلاء اليهود إلى الفرار بأنفسهم وتفرقوا فى أنحاء آمنة بعيدة عن مجالات الروم ومن هؤلاء اليهود :

يهود بنى قريظة.

يهود بنى النضير.

يهود بنى بهدل.

فروا من وجه الرومان إلى الجنوب فى اتجاه يثرب فنزلوا الغابة - موضع يقع شمال يثرب على بعد عدة أميال منها - فوجدوها وبيئة فكرهوا الإقامة بها فبعثوا رائدا منهم يلتمس لهم مكانا صالحا للسكنى نقى الهواء طيب التربة، فخرج باحثا عن ذلك حتى قاده البحث والاستكشاف إلى منطقة العالية وهى بطحان ومهزور - ذات أرض طيبة بها مياه عذبة تنبت حر الشجر.

فرجع إلى قومه بالغابة وأخبرهم فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان ونزلت بنو قريظة وبنو بهدل ومن معهم على مهزور.

قبائل اليهود فى يثرب:

أصبح لليهود قبائل وبطونا مختلفة الأسماء بلغت فى يثرب اثنتى عشرة قبيلة هى:

بنو عكرمة. بنو ثعلبة. بنو محمر. بنو قينقاع. بنو زيد.
بنو النضير. بنو قريظة. بنو بهدل. بنو عوف. بنو الفصيص.
بنو زاعوراء. بنو مرانة.

وكل هذه الأسماء عربية صرفت ماعدا زاعوراء.

العنصرية بين اليهود:

عرف بنى قريظة وبنى النضير بين اليهود بالكاهنين نسبوا بذلك إلى جدهم الذى يقال له الكاهن وهو الكاهن بن هارون بن عمران، فهم على ذلك من أصل رفيع ومن نسب حسيب يميزهم عن بقية طوائف اليهود، ولهذا كانوا يفتخرون بنسبهم هذا ويرون **أن لهم السيادة والشرف على من سواهم من إخوانهم فى الدين.**

الوجود اليهودى فى يثرب :

وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ما قبل الإسلام.

مر على اليهود فى الجاهلية عهدان:

أ- عهد السيطرة والتحكم المطلق فى منطقة يثرب.

ويبدأ هذا العهد ببداية نزول العنصر اليهودى أرض يثرب وقد استمر هذا العهد أكثر من ألف سنة.

ب - عهد الانكسار والهزيمة.

وبدأ هذا العهد بهجرة الأوس والخزرج من مأرب باليمين إلى يثرب فى أوائل القرن الأول للميلاد.

نسب الأوس والخزرج:

الأوس والخزرج اسما رجلين وهما جدا الأنصار، وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو - مزيقاء - بن عامر - الملقب بماء السماء - بن حارثة - الغطريف - بن امرئ القيس - البطريق - بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان - أخو حمير - بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

كان موطن الأوس والخزرج بلاد اليمن فهاجروا إلى يثرب - بالحجاز - فصارت لهم موطناً، وقد دارت معارك طاحنة بين القبيلتين فى يثرب كان آخرها حرب بعاث - قبل هجرة النبى الخاتم ﷺ - ولما هاجر المبعوث رحمة للعالمين ﷺ إلى يثرب ألف الله ﷻ بين قلوب القبيلتين فانطفأت وخمدت نار العداوة والبغضاء بينهما.

الأوس والخزرج فى يثرب :

عندما تهدم سد مأرب انتاب مملكة مأرب الضعف وتفرق أهلها - وهم من الأزد من أبناء كهلان بن سبأ - فى الأرض.

ذهب الغساسنة منهم إلى الشام فصاروا ملوكها :

ونزل اللخميون منهم العراق فدانت لهم أيضا فصار منهم ملوك الحيرة وهم المناذرة المشهورون فى التاريخ.

كما اتجه الأوس والخزرج منهم إلى يثرب فنزلوها فكان نزولهم إيذانا بزوال سلطان اليهود فى المنطقة، فقد عمل هؤلاء اليمانيون- منذ نزولهم أرض يثرب - على مضايقة اليهود بغية مشاركتهم فى سلطان المدينة وثرواتها الكبيرة.

ولكن الأوس والخزرج ظلوا عاجزين أمام سطوة اليهود وتماسكهم فبقى الأوس والخزرج فى فقر مدقع لا حول لهم ولا طول وكان إخوانهم من العرب - سكان المدينة الأصليين قبلهم - أضعف منهم - لذا قنع الأوس والخزرج بما حصلوا عليه من أرض جدباء لا تنبت إلا القليل من الزرع، فعاشوا فى ضيق من العيش، وبقى اليهود يتمتعون بسلطان الملك - الفطيون - والثروة كلها فى أيديهم.

وظل الحال على هذا الحال ردحا من الزمن.

الفطيون :

وكان لمالك بن العجلان اليمانى فضل كبير - قبل الإسلام - فى كسر شوكة اليهود فى يثرب وجعلهم تبعا لليمانيين الذين سماهم الله ﷻ فيما بعد - الأنصار - وذلك بعد أن كان هؤلاء اليهود الدخلاء ذوى سطوة وجبروت وطغيان فى منطقة يثرب وخاصة ملكهم الفطيون - كلمة عبرانية تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملكهم - الذى أجبر **سكان يثرب من اليهود وغيرهم على أن لا تزف عروس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفتضها ثم ترسل لزوجها.**

وظل الفطيون يمارس هذا العمل الفظيع ردحا من الزمن.

ولما نزل الأوس والخزرج يثرب بعد انهدام سد مأرب أراد طاغية اليهود الفطيون أن يسير فيهم بتلك السيرة المهينة.

إذ تزوجت أخت مالك بن العجلان اليمانى رجلا من بنى سليم فى يثرب فأرسل الفطيون كالعادة قبل أن تزف إلى زوجها، وكان مالك أخوها غائبا، فخرجت هاربة من العار تطلبه، فمرت بقوم فيهم أخوها مالك بن العجلان فنادته.

فقال مالك بن العجلان لأخته :

- لقد جئت بسبة الدهر يا هنتاه، تنادينى ولا تستحى ؟

فقالت أخت مالك :

- الذى يراد بى أكبر.

ثم أخبرته بأن الفطيون طلبها قبل أن تدخل على زوجها

فثارت حمية مالك بن العجلان وقال لأخته :

- أنا أكفيك ذلك.

فتساءلت أخت مالك :

- كيف.

قال مالك بن العجلان :

- أتزين بزى النساء وأدخل معك عليه - أى الفطيون طاغية اليهود - متنكرا مع النساء فأقتله.

فلما أمسى مالك بن العجلان اشتمل على السيف ودخل على الفطيون متنكرا مع النساء، فلما خف من عنده وثب عليه فقتله.

وأخذ مالك بن العجلان أخته وانصرف إلى دار قومه بعد أن مسح عن سكان يثرب أشنع عار كانوا يوصمون به.

أول إخضاع لليهود على أيدى العرب :

ثارت ثائرة اليهود لقتل ملكهم الفطيون وأرادوا أن يوقعوا بالعرب، إلا أن مالك ابن العجلان أحد زعماء الأوس والخزرج توجه فى وفد من قومه إلى من بالشام من قومهم - الغساسنة - وهناك دخل على ملك الغساسنة أبى جبيلة وشكى له طغيان اليهود الدخلاء وغلبتهم على عرب يثرب وسوء حال قومه واستئثار اليهود بثروات يثرب وإنهم يخشون أن يطردهم اليهود من ديارهم وخاصة بعد مصرع ملكهم الفطيون، ثم طلب النجدة والعون العسكرى لإخضاع هؤلاء اليهود.

فلبى ملك الغساسنة أبو جبيلة طلب مالك بن العجلان وتوجه بنفسه إلى يثرب على رأس جيش لجى عظيم لنجدة أبناء عمومته.

أوقع أبو جبيلة باليهود وأحدث فيهم مقتلة عظيمة أبيد فيها أكثر قادة وزعماء اليهود فعزت الأوس والخزرج بعد ذلك فكان ذلك أول إخضاع

لليهود على أيدى العرب وصاروا ندا لليهود يصاولونهم ويجاولونهم بعد أن كانوا لا يجرأون على التعرض لهم.

ورجع أبو جبيلة إلى الشام.

الحلف:

بقى اليهود على جانب كبير من القوة والتماسك يصاولون اليمانيين ويجاولونهم فدامت الحروب والمناوشات بين الفريقين زمنا غير قصير إلى أن دبر مالك بن العجلان زعيم الأوس والخزرج مكيدة أفنى فيها مجموعة كبيرة من زعماء اليهود، وفتك الأوس والخزرج باليهود فتكا ذريعا.

وبهذا خضد - خضد الشجرة : قطع شوكه - اليمانيون - الأوس والخزرج - شوكة اليهود فذلوا وانهدم سلطانهم فخافوا العرب خوفا شديدا ولم يستطيعوا الوقوف على أقدامهم فى المدينة إلا بعد أن قبلوا الاندماج فى قبيلتى الأوس والخزرج بالحلف، حيث لجأ كل فريق من اليهود إلى قبيلة من قبائل الأوس والخزرج يتعزز ويمتنع بهم.

فصار بنو قريظة وبنو النضر ومن تبعهم حلفاء الأوس.

وبنو قينقاع ومن تبعهم حلفاء الخزرج.

فإذا نشبت حرب قبلية بين الأوس والخزرج، كان بنو قريظة والنضير ومن تبعهم فى صفوف الأوس، وبنو قينقاع ومن تبعهم فى صفوف الخزرج.

الحرب الأهلية بين اليهود :

لم تنقطع الحرب بين اليهود فى يثرب، فقد كان بنو قينقاع من أشجع يهود يثرب على خلاف دائم مع يهود بنى قريظة وبنى النضير.

وكان يهود بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع يسكنون ضواحى يثرب، فدارت معارك عديدة بين يهود بنى قينقاع وبنى قريظة فألحق فيها بنو قريظة والنضير ببنى قينقاع خسائر فادحة اضطروا على أثرها إلى

الالتجاء إلى داخل يثرب فأقاموا وسط حى من أحيائها.

حال اليهود بعد فقد السلطان:

بالرغم من الضربة الموجعة التى أنزلها الأوس والخزرج باليهود - قبل الإسلام - والتى انهدم على أثرها سلطانهم السياسى وتحطمت قوتهم العسكرية فى يثرب، فإنهم ظلوا فى حالة تماسك فى ظل وحدة عنصرية **محورها الديانة اليهودية.**

وفى ظل الارتباطات القبلية والحلف التى ربطوا أنفسهم بها مع رؤساء القبائل القوية المحاربة قد وسعوا من نفوذهم الاقتصادى بين قبائل العرب، ووجهوا نشاطهم إلى تضخم ثرواتهم **عن طريق التعامل بالربا الفاحش،** والإتجار فى مختلف السلع، فاشتهروا **بصناعة الخمر وبيعه وجلبه أحيانا من بلاد الشام.**

مركز اليهود المالى:

كان الأعراب يقصدون اليهود دائما فيبتاعون منهم ما يحتاجون ويقترضون منهم بالربا، **وقد اتسعت ثروات اليهود حتى صاروا ملوك المال،** وعن طريق سلطان المال والثروة استعادوا شيئا من نفوذهم الذى فقدوه، فصاروا بمالهم من تأثير اقتصادى يثيرون الفتن والحروب بين القبائل الوثنية وخاصة فى منطقة يثرب حتى لا تتم أى وحدة بين هذه القبائل لأن ذلك يهدد الكيان اليهودى بالخطر.

وظل اليهود يوسعون من نفوذهم الاقتصادى ويشترون زعماء القبائل العربية الوثنية بالمال. وكانوا يحاولون بشتى الوسائل استعادة سلطانهم السياسى والعسكرى الذى فقدوه على يد الأوس والخزرج، فصاروا يستغلون المشاحنات القبلية وخاصة بين الأوس والخزرج فيشعلون نيرانها بغية إنهاء قوة هاتين القبيلتين ليسهل على هؤلاء اليهود استعادة سلطانهم، إلا أنهم لم يحققوا أهدافهم.

بل ظلوا - حتى ظهور الإسلام - حلفاء وتابعين للأوس والخزرج.

وبقى اليهود فى يثرب بالرغم من هزيمتهم العسكرية وانهدام سلطانهم على أيدى أوس اليمن وخزرجها عنصرا قويا من عناصر يثرب وخاصة فى المجال المالى والاقتصادى حيث كانوا يشكلون أقوى عنصر فى هذه الناحية حتى ظهور الإسلام.

فقد كان هؤلاء اليهود يعتمدون فى تنمية ثرواتهم وتوطيد نفوذهم على إعطاء القروض الربوية - الربا من مميزات اليهود - التى كانت تدر عليهم أرباحا طائلة.

كما أن اليهود كانوا يقومون ببعض الصناعات المربحة كالصياغة - صناعة الحلى من ذهب وفضة - والنسيج والحدادة التى كان العرب يأنفون منها ويعتبرونها من المهن الحقيرة، كما كان اليهود يقومون بالإتجار بالبر والشعير والتمر والخمر فاحتكروا ثروات يثرب وتحكموا فيها اقتصادياً فلا ينكر أحد نفوذ المال وسلطانه القاهر.

اليهود فى خيبر:

يرجع وجود اليهود الدخيل فى خيبر بعد وفاة كليم الله موسى عليه السلام حيث استوطن اليهود خيبر منذ حوالى ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد.

واختلف فى أصل اليهود الذين استوطنوا خيبر فقيل إنهم ليسوا من بنى إسرائيل وإنما هم من أبناء العرب الذين دانوا باليهودية.

وقيل أن صلة بنى إسرائيل بخيبر ويثرب كلها كانت فى عهد نبى الله الملك داود - أى بعد موسى عليه السلام وقبل عيسى ابن مريم عليه السلام.

وذكر بعض المؤرخين أن سبب نزول اليهود خيبر والحجاز هو أن بعض أحبار وعلماء اليهود كانوا يجدون صفة النبى الخاتم ﷺ فى التوراة وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة، فلما رأوا تيماء وفيها النخل نزلها طائفة منهم، وظن طائفة أنها خيبر فنزلوها ومضى أشرافهم وأكثرهم إلى يثرب فنزلوها واستوطنوها.

والمتفق عليه أن اليهود لجأوا إلى الحجاز - خيبر من الحجاز - فى فترتين رئيستين :

الأولى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد بعد وفاة نبى الله موسى عليه السلام.

والثانية بعد الميلاد عقب استيلاء الروم على فلسطين وتخريب الهيكل عام ٧٠ م وعقب تنكيل هيدريان بالعبرانيين عام ١٢٢ م.

وقد اشار سفر صموئيل الأول من التوراة إلى أن اليهود سكنوا يثرب وأعلى الحجاز - خيبر من أعالى الحجاز - منذ العهد الذى أرسل فيه موسى عليه السلام ذلك الجيش لإبادة العمالقة فى منطقة يثرب وخيبر وكل أعالى الحجاز.

اليهود عنصر دخيل فى الجزيرة العربية :

سواء استوطن اليهود خيبر وباقى المناطق قبل الميلاد أو بعده فإن المجمع عليه بين جميع المؤرخين - إسلاميين وأجانب - أن اليهود هم أجانب دخلاء مستعمرون لا تربطهم بأى من سكان هذه المناطق فى جزيرة العرب أية رابطة من لغة أو دين أو دم، وإنما هم غزاة أو لاجئون سيطروا على خيبر ويثرب وباقى المناطق فى غفلة من الزمن وفى وقت كان العرب الوثنيون فيه تمزقهم روح الجاهلية القبلية الضيقة التى ساهم وجودها وتحكمها فى المجتمع العربى فى التمكين لهؤلاء اليهود الدخلاء فى هذه المناطق من جزيرة العرب **فزادوا المجتمعات العربية فسادا على فساد كما هى طبيعة العنصر اليهودى الذى لا يعيش ولا يكون له نفوذ فى أرض إلا إذا أشاع فيها الفساد وبذر بذور الشحناء وأشعل نيران** التفرقة والتباغض والتخاصم بين أهلها.

اليهود فى الشمال :

تمركز اليهود فى نقاط محددة فى الشمال الممتد من وادى القرى حتى مقاطعة تيماء فى أقصى الشمال.

والمنطقتان اللتان اشتهرتا بتمركز اليهود فيهما هما وادى القرى

وتيماء وهما بقعتان خصبتان بهما العيون والمياه.

يهود تيماء :

تقع تيماء فى أقصى الشمال الغربى من جزيرة العرب فقد كانت من المواقع القديمة التى حل بها اليهود قبل الإسلام، وقد كان ذكر اليهود خاملا قبل الإسلام وبعده ولم تشتهر تيماء إلا بسبب الشاعر اليهودى السموأل بن عاديا صاحب الحصن المشهور والذى ردد الإخباريون ذكره فى تاريخ ما قبل الإسلام ونسبوا إليه الشعر الجزل والوفاء بالعهد إلى درجة أنه ضحى معها بأحد أبنائه مقابل وفائه لامرئ القيس الكندى أبى أن يخفر ذمته ولولا هذا الشاعر اليهودى - السموأل - لما احتفظ التاريخ ليهود تيماء قبل الإسلام بشىء يذكر.

نقاط أخرى من الشمال :

هناك جاليات يهودية صغيرة مبعثرة فى الشمال الغربى فى تبوك ومقنا وأيلة - مدينة على ساحل بحر القلزم، قيل هى آخر الحجاز وأول الشام وهى مدينة اليهود الذين اعتدوا فى السبت وتسمى اليوم إيلات وغيرها على ساحل البحر الأحمر-.

اليهود فى الطائف والبحرين :

كانت هناك جاليات يهودية فى الطائف والبحرين عند ظهور الإسلام جاءوا مطرودين من يثرب واليمن فأقاموا بها للتجارة.

اليهود فى اليمن :

كانت اليهودية فى اليمن أقوى من أى مكان آخر فى جزيرة العرب من حيث الانتشار وقوة السلطان إذ أصبحت فى عهد من العهود دين الدولة الرسمى وذلك فى عهد بعض ملوك الحميريين ومع أن المؤرخين مجمعون على وجود اليهودية فى اليمن قبل الإسلام إلا أن أحدًا منهم لم يذكر بصفة قاطعة متى اعتنق أهل اليمن الدين اليهودى وفى أى تاريخ على وجه التحديد؟ غير أن الإخبارين الإسلامين مجمعون على أن أول

اتصال لليهودية باليمن هو فى عهد تبان أسعد أبى كرب تبع اليمن الثالث الذى اعتنق اليهودية فى يثرب ثم حملها إلى اليمن ودعا شعبه إليها فدانوا بها دونما إكراه.

ويزعم ثيو دور لكتور - مؤرخ غربى - أن اليمن قد عرفت اليهودية منذ أقدم العصور وفى عهد نبى الله سليمان عليه السلام فى النصف الأول للقرن السادس للميلاد.

وقال ثيودورلكتور :

إن الحميريين كانوا فى بادئ أمرهم على دين يهود، دخلوا فيه أيام ملكة سبأ - بلقيس بنت الهدهاد - المعروفة بقصتها مع سليمان بن داود عليهما السلام.

وإذا صح قول هذا المؤرخ فإن أهل اليمن يكونون قد دانوا جميعهم بدين الله الحق لا دين اليهودية المحرف؛ لأن بلقيس بنت الهدهاد إنما آمنت على يد سليمان عليه السلام وهو نبى ودينه فى الحقيقة - فى جوهره - الإسلام بدليل قوله تعالى فى حق ملكة سبأ المؤمنة**{رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**. [سورة النمل الآية : ٤٤].

كيف دخلت اليهودية اليمن ؟:

يمكن تقسيم الوجود اليهودى فى اليمن قبل الإسلام إلى عهدين :

١- عهد السيطرة والسلطان.

٢- عهد الإنكسار والتشريد.

أما عهد السيطرة والسلطان فيبدأ باعتناق تبع اليمن الثالث - كان وثنيا - لليهودية فى يثرب.

كيف اعتنق تبع الثالث الديانة اليهودية ؟

جاء تبان أسعد أبى كرب الملك الحميرى إلى يثرب يريد إهلاك أهلها من العرب لثأر له عندهم، فلما سمع حبران من أحبار بنى قريظة بذلك

جاءا إلى الملك تبع فنصحاه بأن لا يفعل ما اعتزم من إهلاك أهل المدينة قائلين :

- أيها الملك : لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد، حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة.

فقال تبع الثالث :

- ولم ذلك ؟

قال الحبران :

- هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علما، واعجبه ما سمع من هذين الحبرين وانصرف تبان أسعد أبى كرب عن يثرب بعد أن اتبع الحبرين على دينهما.

ولما بلغ أهل اليمن دخول ملكهم فى الديانة اليهودية استاؤوا لذلك أشد الاستياء، فلما دنا الملك تبع الثالث من اليمن وأراد أن يدخلها حالت قبائل حمير بينه وبين ذلك وقالوا :

- لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا.

فأبلغهم بأن دينه الجديد - اليهودية - خير من الوثنية التى هم عليها وبعد مناقشات ومجادلات بين الملك تبع الثالث وزعماء شعبه أقنعهم بوجهة نظره يسانده فى ذلك الحبران اليهوديان اللذان اصطحبهما معه من يثرب إلى اليمن.

فدخل أهل اليمن جميعا فى اليهودية وصارت منذ ذلك اليوم الدين الرسمى لأهل اليمن.

انحسار اليهودية فى اليمن:

بدأ انحسار اليهودية فى اليمن وتشريد أتباعها بانتهاء ملك تبع اليمن الخامس - ذو نواس - وآخر ملوك حمير وهو صاحب قصة الأخدود

المذكورة فى القرآن{**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**} [سورة البروج الآية : ٤].

بلغ تبع الخامس - ذو نواس - أن بنجران قوما من النصارى فسار إليهم بجنوده، ثم دعاهم إلى اليهودية وترك دين عيسى ابن مريم عليه السلام، وخيرهم بين الدخول فى اليهودية أو القتل، فاختاروا القتل عن مفارقة دين عيسى عليه السلام، فاشتد غضبه فأمر بخد الأخدود لهم ثم ملأها بالنيران وأخذ يقذف بهم فى نيران الأخدود، فقتل منهم بشرا كثيرا بلغوا نحو عشرين ألفا.

وقد أشار القرآن العظيم إلى هذه الحادثة الفظيعة التى ارتكبها ذو نواس{**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**} [سورة البروج الآية : ٤ - ٨].

بداية نهاية اليهودية فى اليمن :

عندما بلغ ملك الحبش ما حدث بإخوانه فى النصرانية على يد ذى النواس ملك الحميريين المتهود جهز جيشا كبيرا بلغ عدده سبعين ألف مقاتل من الأحباش - بإشارة من قيصر الروم - ولما التقى الجيشان انهزم ذو نواس وانتصر الأحباش واستولوا على **اليمن فكانت بداية نهاية اليهودية فى اليمن حيث نكل بهم الأحباش تنكيلا شديدا** فانخضدت شوكتهم وتقلص ظل اليهودية من اليمن فهاجر أكثرهم منها، ولم يبق منهم فى اليمن **إلا الذليل المستضعف الذى نجا من القتل.**

وبالرغم من التنكيل الشديد والقتل الذريع الذى نزل بيهود اليمن قبل الإسلام وبعد احتلال الأحباش لها فقد بقيت جاليات يهودية - يهود اليمن ليسوا إسرائيلى الجنس وإنما هم من العرب - ظلت تقطن اليمن عدة قرون حتى ظهور الإسلام.

اليهود فى مكة :

كان اليهود موجودين فى مكة قبل الإسلام ولكن بعدد قليل لم يجعل لهم

دورا فى أم القرى ولاسيما أن قريشا كانت صاحبة السلطة المطلقة وكانت معارضتها للإسلام عند ظهوره فى غاية الضراوة والعنف.

أثر اليهودية فى العرب :

على الرغم من مرور أكثر من سبعة عشر قرنا على وجود اليهودية فى جزيرة العرب - قبل الإسلام - لم يكن للديانة اليهودية أى أثر ذى بال بين الأعراب الوثنين الذين عايشوا اليهود طيلة تلك القرون الطويلة وخاصة فى منطقة يثرب وخيبر ومناطق الشمال الأخرى التى كانت مركز النقل ومناطق التجمع الرئيسية لليهود الإسرائيليين الدخلاء حتى ظهور الإسلام فلم يذكر التاريخ أن هناك فى خيبر أو يثرب أو الشمال قبيلة أو **حتى عائلة عربية واحدة اتخذت من اليهود دينا لها.**

وظل الأعراب فى جميع أنحاء الجزيرة العربية على وثنيتهم حتى جاء الإسلام فدخلوا فيه جميعا أما الذين دانوا باليهودية من الأعراب قليلون جدا بحيث لا يزيدون على اثنين فى المائة من مجموع أعراب يثرب وخيبر والمناطق الشمالية التى كانوا مستقرين بها فقد **كان كهان يهود وأحبارهم لا يقومون بنشر اليهودية بين الأعراب الوثنين** طيلة تلك القرون الطويلة كما يفعل القسيسون من النصارى حيث كانوا - قبل الإسلام - ينتقلون بين الأعراب لنشر النصرانية كما حدث فى منطقة نجران المكان الرئيسى للنصرانية فى جزيرة العرب - قبل الإسلام.

أثر اليهودية فى اليمن:

إذا كان هناك أمة أو قبيلة عربية قد دانت باليهودية كالحميريين فى اليمن فإن ذلك ليس مرده إلى نشاط أحبار اليهود الواسع فى مجال الدعاية لنشر اليهودية فإن اليهود **يفضلون السعى وراء الدينار والدرهم عن دعوة أحد إلى اليهودية**، كما يظن اليهود أن اليهودية خير الأديان فلا يريدون غير اليهود أن ينالوا هذا الخير.

وكان سبب انتشار اليهودية فى اليمن هو اعتناق تبع الثالث اليهودية

وهذه حادثة فردية ليس لها مثيل فى تاريخ انتشار اليهودية وخاصة بعد التحريف والتبديل الذى طرأ على التوراة على أيدى بعض الأحبار فى عهد الانحراف.

يهود الجزيرة العربية فى نظر غيرهم من اليهود :

كانت نظرة اليهود إلى يهود الجزيرة العربية كفئة منحرفة ضالة فقد كان يهود الجزيرة العربية فى معزل عن بقية أبناء دينهم وانفصال، وأن يهودًا يرون أن يهود الجزيرة العربية لم يكونوا مثلهم فى العقيدة بل رأوا أنهم ليسوا يهود لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود، ولهذا لم يرد عن يهود جزيرة العرب شىء من أخبار المؤلفين العبرانيين.

العرب والثقافة اليهودية :

لم يتأثر العرب بالثقافة اليهودية فى المناطق التى سيطر عليها اليهود من الجزيرة العربية بالرغم من أنهم كانوا يسيطرون على بعض هذه المناطق كيثرب وخيبر والشمال سيطرة تامة عدة قرون طويلة، بل إن الذى حدث هو العكس وهو أن اليهود هم الذين **تأثروا بالثقافة العربية وتخلوا على مر العصور عن كثير من خصائصهم الانفرادية التى يمتازون بها ويحملون أنفسهم على المحافظة عليها محافظة شديدة فى أى زمن أو فى أى مكان كانوا فقد صهرتهم الثقافة العربية بدلا من أن تصهر ثقافتهم العرب وخاصة فى مجال الشعر والأدب واللغة، وحتى الأسماء.. أسماء البطون والقبائل والأفراد لم يقو** اليهود على الاحتفاظ بطابعها العبرانى الإسرائيلى كما هى طبيعتهم فى أى بلد أجنبى يسكنونه حتى الآن، فأكثر أسماء الأفراد والبطون والقبائل اليهودية فى جزيرة العرب وخاصة فى يثرب وخيبر والشمال **هى أسماء عربية صرفة**، إذ لم يبق بين الفخائذ اليهودية فى جزيرة العرب فخيذة واحدة يحمل اسمها الطابع الإسرائيلى ماعدا اسم واحد هو **اسم زاعوراء** فى يثرب - كما تقدم عند ذكر أسماء القبائل اليهودية فى يثرب - حتى أسماء اليهود وزعمائهم لم تستطع

الاحتفاظ بملامحها العبرانية فكل أسماء هؤلاء الأحبار والزعماء **تحمل الطابع العربى الصرف** مثل : كعب بن أسد، وحيى بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وسلام بن مشكم، وسلام بن أبى الحقيق، وعبد الله بن صيفى، وعدى بن زيد، والحرث بن عوف، والزبير بن باطا.

فكل هؤلاء يهود إسرائيليون لم يذكر أحد المؤرخين أنهم عرب تهودوا، ولو كانوا كذلك لأوضحه المؤرخون كما فعلوا عند ما أكدوا عروبة كعب بن الأشرف اليهودى وأنه من قبيلة طى العربية.

وهذا يعنى بالتأكيد أن اليهود الإسرائيليين هم الذين تأثروا بالثقافة العربية، حيث طغت هذه الثقافة فى جميع المجالات على الثقافة اليهودية حتى اللغة العربية صارت بالنسبة لهؤلاء اليهود هى اللغة الرئيسية فى التخاطب بينهم وبين العرب، أما اللغة **العبرانية فقد استحالت إلى لغة ثانوية** حصرت فى نطاق ضيق وهو نطاق دينهم فحسب، **لا يجيدها غير كهانهم، أما عامة اليهود فما كانوا يعرفون غير اللغة العربية.**

شعراء اليهود :

وبحكم صهر الثقافة العربية لهؤلاء اليهود، وطغيانها على ثقافتهم طيلة قرون عديدة نسوا كيانهم الثقافى وأصبحوا لا يجيدون من الثقافة اليهودية غير لغة الدين، وأصبح طابعهم فى مجال الفكر والشعر لا يختلف عن الطابع العربى، وبحكم البيئة العربية ابتلعهم خضم ثقافتها ونبغ من بين هؤلاء اليهود شعراء مجيدون لا يختلف **شعرهم فى طابعه العربى وجزالته عن كبار وفحول الشعراء العرب الأصليين.**

ومن أبرز شعراء اليهود:

السموأل بن عاديا:

الذى سارت بشعره الركبان، وهو من يهود تيماء فى الشمال، وهو صاحب الحصن الأبلق والمشهور بالوفاء، ومن شعره القصيدة اللامية المشهورة التى صار كثيرا من أبياتها أمثالا تضرب :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه ::: فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ::: فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا ::: فقلت لها إن الكرام قليل
وماضرنا أنا قليل وجارنا ::: عزيز وجار الأكثرين ذليل

أخو السموأل:

وهو سعية بن عريض بن عاديا وهو شاعر مجيد ومن شعره الجيد :

يا دار سُعدَى بمفضى تلعه النعم ::: حُبيت دارا على إلا الإقواءعد والقدم
عجنا فما كلمتنا الدار إذا سئلت ::: وما بها عن جواب خلت من صمم
وما يجزعك إلا الوحش ساكنة ::: وهامد من رماد القدر والحمم

ومن روائع شعره قوله:

إنا إذا مالت دواعى الهوى ::: وأنصت السامع للقائل
واصطرع القوم بألبابهم ::: نقضى بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقا ::: ولانلظ دون الحق بالباطل
نخاف أن نسفه أحلامنا ::: فنخمل الدهر مع الخامل

أوس بن دنن القرظى:

من شعراء يثرب المجيدين وهو من بنى قريظة ومن شعره الذى قال عندما دعته زوجته التى أسلمت:

دعتنى إلى الإسلام يوم لقيتها ::: فقلت لها لا بل تعالى تهودى
فنحن على توراة موسى ودينه ::: ومن يهد أبواب المراشد يرشد

أبو الزناد اليهودى:

من شعراء يثرب ومن شعره :

دار لبهانة خدلجة ::: تضحك عن مثل جامد البرد
يا من لقلب متيم سدم ::: عان رهين أحيط بالفقد
أزجره وهو غير مزدجر ::: عنها وطرفى مقارن السهد
تمشى الهوينا إذا كما مشت فضلا ::: مشى النزيف المبهور فى صعد

وفى اليهود شعراء مجيدون آخرون منهم :

الربيع بن أبى الحقيق، وكعب بن الأشرف، وشريح بن عمران، وأبو قيس بن رفاعة، وأبو الذيال، ودرهم بن زيد.

اليهود يبشرون بخاتم النبيين ﷺ :

كان اليهود يهددون أهل يثرب بظهور نبى يتبعونه ويقاتلونهم ويقولون لهم:

- إن نبيا مبعوثا قد أظل زمانه نتبعه نقتلكم قتل عاد وإرم.

{وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ} [سورة البقرة الآية : ٨٩].

أى يستنصرون بك يا محمد

قال سلمة بن سلامة بن وقش :

كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل وأنا يومئذ من أحدث - أصغر - من فيهم سنا مضطجع بفناء أهلى على بردة، فذكر اليهودى القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائنا بعد الموت.

فقال بنو عبد الأشهل لليهودى :

- ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال اليهودى :

- نعم والذى يحلف به، ولو أن به حظ من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا.

فقالوا له :

- ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟

قال اليهودى :

- نبى مبعوث من نحو هذه البلاد.

وأشار بيده إلى مكة واليمن.

فقالوا :

- ومتى نراه ؟

قال سلمة بن سلامة بن وقش :

فنظر إلى وأنا أحدث بنى عبد الأشهل سنا وقال :

- إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه.

وكان اليهود - أهل الكتاب - يتوعدون الأوس والخزرج كلما وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا :

- سيبعث نبى قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وكان رجل من يهود أهل الشام يقال له : ابن الهيبان قدم من يثرب.

يقول أهل الشام :

- ما رأينا رجلا يصلى أفضل من ابن الهيبان.

فأقام عندهم، فإذا قحط المطر عنهم قالوا له :

- يا ابن الهيبان أخرج فاستسق لنا.

فيقول ابن الهيبان :

- لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة.

فيقولوا:

- كم ؟

فيقول ابن الهيبان :

- صاعا من تمر أو مدين من شعير.

فيخرج أهل الشام صاعا من تمر أو مدين من شعير.

فيخرج ابن الهيبان إلى ظاهر حرتهم فيستسقى الله لهم.

فما يبرح ابن الهيبان مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى أهل الشام.

فعل ابن الهيبان ذلك أكثر من مرة.

ولما حضرت الوفاة ابن الهيبان قال :

- يا معشر يهود: ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟

قالوا :

- إنك أعلم.

قال ابن الهيبان وهو فى النزع الأخير :

- إنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف - انتظر - خروج نبى قد أظل - أشرف وقرب- زمانه وهذه البلدة - المدينة - مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

جحد اليهود الحق بعد معرفته :

قال تعالى:**{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}** [سورة الصف الآية : ٦].

قال الصادق المصدوق ﷺ:

إنى عند الله مكتوب لخاتم النبيين، وإن آدم لمجندل فى طينته، وسأخبركم بأول ذلك : دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى بى، والرؤيا التى رأت أمى، وكذلك أمهات النبيين يرين أنها رأت حين وضعتنى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام [أخرجه أحمد فى المسند، ابن مردويه عن العرباض بن سارية].

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

اسمى فى التوراة أحيد لأنى أحيد أمتى عن النار، واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الأوثان، واسمى فى الإنجيل أحمد، واسمى فى القرآن محمد لأنى محمود فى أهل السماء والأرض.

ذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه :

- تلك أمة محمد.

فقال كليم الله :

- اللهم اجعلنى من أمة محمد.

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام :

- يا روح الله هل بعدنا من أمة ؟

قال المسيح عليه السلام :

نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل.

وعلى الرغم من أن اليهود عرفوا صفة محمد ﷺ فى التوراة وبشر به روح الله وكلمته فى الإنجيل إلا أنهم لما جاء النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ جحدوا نبوته لأنهم يعتقدون أن الرسالة فيهم لأنهم شعب الله المختار، ونصبت عند ذلك أحبار اليهود لرسول الله ﷺ العداوة بغيا وحسدا وضغنا، فجحد اليهود الحق بعد معرفته.

فهذان حبران من أكبر علماء يثرب، ومن الذين كان من المفروض أن يستبشروا بقدوم خاتم النبيين ﷺ ويقابلوه بالترحاب ويعلنوا الإيمان بدعوته عندما قدم المدينة لتأكدهم من أنه المبعوث للناس كافة ﷺ الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة، هذان الحبران هما : حيى بن أخطب وأخوه ياسر اللذان عصفت بقلوبهما رياح الحسد وحملا للرحمة المهداة ﷺ فور وصوله المدينة من الحقد والبغض لا يستطيع حمله إلا قلب مثل قلبيهما الخبيثين لاسيما بعد أن

تأكدا لدى مقابلتهما أبا القاسم ﷺ أن أوصاف النبى الخاتم الموعود ﷺ التى يجدونها عندهم فى كتبهم تنطبق عليه تماما.

تقول صفية بنت حيى بن أخطب:

كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذانى دونه. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حيى بن أخطب وعمى ياسر بن أخطب مغلسين - الغلس : ظلمة آخر الليل - فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس- فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إلى واحد منهما مع ما بهما من الغم، وسمعت عمى ياسر يقول لأبى حيى بن أخطب :

- أهو، هو ؟ - يعنى النبى ﷺ.

قال أبى حيى بن أحطب :

- نعم والله

قال عمى ياسر :

- أتعرفه وتثبته ؟

قال أبى :

- نعم

قال عمى :

- فما فى نفسك منه ؟

قال أبى حيى بن أخطب :

- عداوة ما بقيت.

وقد ظل هذا اليهودى الخبيث وهو سيد بنى النضير العدو اللدود رقم واحد للنبى ﷺ يحيك له الدسائس والمؤمرات ويعمل جاهداً للقضاء عليه وعدوا للإسلام.

اليهود قوم بهت:

لما سمع الحصين بن سلام أحد أحبار اليهود برسول الله ﷺ عرف صفته واسمه وزمانه الذى كانوا يترقبونه، فكان مُسرًا لذلك صامتا عليه، حتى قدم النبى الخاتم ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء فى عمرو بن عوف، أقبل رجل وأخبر بقدومه ﷺ وكان الحصين بن سلام فى رأس نخلة يعمل فيها، وكانت عمته خالدة بنت الحارث تحت النخلة جالسة، فلما سمع الحصين بن سلام الخبر بقدوم إمام الخير ﷺ كبر.

فقالت عمته خالدة حين سمعت تكبيره :

- خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت

قال الحصين بن سلام :

- أى عمة: هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بعث بما بعث به

قالت خالدة بنت الحارث :

- أى ابن أخى : أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟

قال الحصين بن سلام :

- نعم.

قالت خالدة بنت الحارث :

- فذاك إذا.

يقول الحصين بن سلام :

خرجت فى جماعة من أهل المدينة للنظر إلى - رسول الله ﷺ - فى حين دخوله المدينة، فنظرت إليه وتأملت وجهه، فعلمت أنه ليس بوجه كذاب، وكان أول شىء سمعته منه :

أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. (رواه الإمام أحمد).

وجاء الحصين بن سلام سيد الأولين والآخرين ﷺ وهو فى دار أبى أيوب الأنصارى.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- أنت ابن عالم أهل يثرب ؟

قال الحصين بن سلام :

- نعم.

قال البشير النذير ﷺ.

- فناشدتك بالله الذى أنزل التوراة على طور سيناء هل تجد صفتى فى الكتاب الذى أنزل على موسى ؟

قال الحصين بن سلام :

- انسب لنا ربك يا محمد.

فارتج النبى ﷺ، فنزل جبريل عليه السلام وقال له :

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}. [سورة الإخلاص الآية].

فقال أبو يوسف الإسرائيلى :

- أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الأديان، وإنى وجدت صفتك فى كتاب الله**{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}**. [سورة الفتح الآية : ٥٨] أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه حتى يقيم الملة المعوجة، حتى يقولوا : لا إلـه إلا الله، ويفتح به أعينا عميا وأذانًا صما وقلوبا غلفا.

ثم قال الحصين بن سلام :

- إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى.

قال إمام الخير ﷺ :

- سل ما شئت.

قال الحصين بن سلام :

- ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد

لأبيه أو إلى أمه ؟

قال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

- أخبرنى بهن جبريل آنفا.

قال أبو يوسف الإسرائيلى :

- جبريل؟.

قال السراج المنير ﷺ :

- نعم.

قال الحصين بن سلام :

- عدو اليهود من الملائكة.

قيل:

وسبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام لأنهم زعموا أنه ينزل بالخسف والحرب والهلاك.

وقيل :

زعموا أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم : أى يجعل النبى الخاتم ﷺ فى بنى إسرائيل الذين هم أولاد إسحاق فجعلها فى غيرهم : **أى فى ولد إسماعيل عليه السلام.**

وقيل:

سبب عداوتهم لجبريل عليه السلام : أنه أنزل على نبيهم أن بيت المقدس من سيخربه بختنصر، فبعثوا من يقتله من أعظم بنى إسرائيل قوة فأراد قتله فمنعه جبريل عليه السلام وقال :

- إن كان ربكم أمره بإهلاككم فإنه لا يسلط عليه.

فصدقه ورجع عنه.

وقيل :

إن بنى إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا شعياء، جاء بختنصر ملك الفرس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس.

وقيل :

سبب العداوة كونه يطلع النبى ﷺ على سرهم.

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

{مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [سورة البقرة الآية : ٩٧] أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزع الولد - نزع إلى أبيه فى الشبه أى ذهب - وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد.

فجعل الحصين بن سلام يتلفت وينظر إلى ظهر النبى ﷺ، فعرف إمام الأنبياء ﷺ أن أبا يوسف الإسرائيلى يريد أن ينظر إلى ظهره **ليرى خاتم النبوة،** فألقى رداء كان على كتفيه، فلما رأى الحصين بن سلام خاتم النبوة قال فى انفعال وصدق :

أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله وأنك جئت بحق.

وكـان صاحـب الخلـق العظيـم ﷺ يغيـر الأسمـاء القبيحـة فقال لأبى يوسف الإسرائيلى:

- أنت عبد الله.

وانطلق عبد الله بن سلام إلى داره فأمر أهله فأسلموا ونطقوا بشهادة الحق.

وأسلمت عمته خالدة بنت الحارث.

وأخفى عبد الله بن سلام خبر إسلامه عن اليهود.

وجاء عبد الله بن سلام مسلما من قبل أن تعلم اليهود بإسلامه فقال :

- يا رسول الله اجعلنى حكما بينك وبين اليهود، فإنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فسلهم قبل أن يعلموا أنى أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى فإنهم قوم بهت - باطل -.

فأرسل أبو القاسم ﷺ إلى يهود، فجاءوا ودخلوا عليه فقال لهم :

- يا معشر يهود، ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إلـه إلا هو إنكم لتعلمون

أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فأسلموا.

قالوا :

- ما نعلمه.

فقال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ.

- فأى رجل فيكم الحصين بن سلام ؟

قالوا :

- ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا - أعلمنا بكتاب الله - وأفضلنا.

فقال نور الظلام ﷺ :

- إنه قد آمن بى.

قالوا :

- حاشا لله، ما كان ليسلم، أعاذه الله من ذلك.

فقال النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ :

- أفرأيتم إن شهد أنى رسول الله، وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى ؟

قالوا :

- نعم.

وكان ابن سلام وراء حجاب - ستر - فقال السراج المنير ﷺ :

- يا ابن سلام أخرج عليهم.

فخرج عبد الله بن سلام من مخبأه فسأله المبعوث للناس كافة ﷺ :

- يا عبد الله بن سلام، أما تعلم أنى رسول الله تجدنى مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل، أخذ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بى وأن تتبعونى من أدركنى منكم ؟

قال عبد الله بن سلام :

- بلى يا معشر يهود، ويلكم اتقوا الله، والله الذى لا إلـه إلا هو إنكم لتعلمون أنه

رسول الله حقا وأنه جاء بالحق تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة اسمه وصفته.

قالوا :

- كذبت أنت شرنا وابن أشرنا.

سبحان الله... كان منذ قليل سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، والآن كذاب وشرنا وابن أشرنا ؟

فقال عبد الله بن سلام :

- هذا الذى كنت أخافه يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بهت - يواجهون الإنسان بالباطل أهل غدر وكذب وفجور- ؟ (رواه البخارى).

فنزل قوله تعالى:**{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}** [سورة الأحقاف الآية : ١٠].

لقد شهد **عبد الله بن سلام على اليهود** أن محمدا ﷺ مذكور فى التوراة وأنه نبى من عند الله.

بدء المقاومة اليهودية للإسلام :

بدأ اليهود منذ اللحظة الأولى التى هاجر فيها خاتم النبيين ﷺ من مكة إلى المدينة يقاومون الإسلام ونبى الإسلام، ويرجفون ضده، ويحاولون نشر ظلال الشكوك حوله لينفر الناس منه ويبتعدوا عن حامل الرسالة.

وكانت المقاومة فى بادئ الأمر على شكل أسئلة محرجة يتقدمون بها إلى الصادق المصدوق ﷺ فى ما يدعو إليه بغية تشكيك الناس فيه فلا يستجيبون له، بل ولا يستمعون إليه، بل إن هؤلاء اليهود بلغ الكيد للإسلام والحرص على وقف تيار دعوة المبعوث للناس كافة ﷺ أن رسموا مخططا محكما لمقاومته وفض الناس من حوله، **وبموجب هذا المخطط اليهودى الماكر دخل البعض منهم فى الإسلام ظاهرا وهو على كفره فى الباطن وذلك ليتسنى لهم أن يعملوا بحرية على إخراج من يقدرون على إخراجه من الإسلام وتواطأ اثنا عشر حبرا من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض :**

- ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به آخر

النهار، وقولوا :

إنا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك يشك أصحابه فى دينهم وقالوا : إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم.

واطمأنوا إلى ما دبروا، وقبل أن يمشوا بالفتنة بين المسلمين أنزل السميع البصير **{وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [سورة آل عمران الآية : ٧٢- ٧٤].

وضايق اليهود أن كشف القرآن مكرهم، ولم يفت فى عضدهم أن أطلع العليم الخبير رسوله ﷺ فقد ظنوا أن بعضهم يمشى إليه ﷺ فاستمروا فى كيدهم للنبى الخاتم ﷺ **وقد ساعدهم على ذلك أن المنافقين يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ.**

وكان نفر من اليهود يباطنون نفرا من الأنصار ليفتنونهم عن دينهم فقال بعض المؤمنين لأولئك النفر من الأنصار :

- اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم

فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم وملازمتهم.

فأنزل الله تعالى:**{لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ}** [سورة آل عمران الآية : ٢٨].

فاجتنب الأنصار ملازمة اليهود ومباطنتهم ولم يتول اليهود إلا نفر من المنافقين فزاد ذلك من حقد اليهود على سيد الأولين والآخرين ﷺ وقالوا فى غيظ :

- لا يأتى المؤمنين بأمر حتى يقولوا : سمعنا وأطعنا ؟

وكان الأوس والخزرج ينظرون إلى اليهود فى إجلال قبل الإسلام فهم أهل

الكتاب والعلم فلما من الله عليهم بالإسلام أحس الأنصار عزة وراحوا يناقشون جيرانهم فى ثقة فما أتاهم الله ﷻ من فضله يفوق ما عند اليهود من بقايا دين قديم وأساطير الشعوب.

وأحس اليهود أن القرآن قد رفع من شأن حلفائهم، الذين كانوا يهرعون إليهم فى حل مشاكلهم وبدلهم تبديلا، فتحركت غيرة وحقد وكراهية أهل الكتاب فقالوا للمسلمين :

- نحن أهدى منكم، نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم.

وقال المسلمون :

نحن أهدى وأولى بالله، نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضى على الكتب التى قبله.

فأنزل العزيز الحكيم:**{لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}** [سورة النساء : ١٢٣- ١٢٥].

كتاب الموادعة بين المؤمنين واليهود :

بعد أن ألف الله ﷻ بين قلوب الأوس والخزرج فانطفأت نار العداوة والحرب التى أشعلها يهود يثرب سنين طويلة وآخى حبيب الرحمن ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكتب كتابا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم فهو يريد ﷺ أن يستقر السلام فى المدينة حتى يستطيع أن يبلغ رسالات ربه للناس وألا يؤلب عليه أعداء فى الداخل قد يتحالفون مع قريش ذات يوم للقضاء عليه وعلى دين الله.

وقد كان الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبى الأمى، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، إنه أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على رمتهم - حالهم التى أتى الإسلام وهم عليها أمرهم الذى كان عليه - يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم - أسيرهم - بالمعروف

والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم - الديات - الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بنى ساعدة، وبنى جشم، وبنى النجار وبنى النبيت.

إلى أن قال :

وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا - المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال - بينهم يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل - دية - وأنه لا يحالف مؤمن مولى دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعه - عطية، وقيل: دسيسة - ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبئ - يمنع - بعضهم بعضا بما نال دماءهم فى سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على قومه، وإن من اعتبط - قتل بلا جناية توجب القتل - مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود - قصاص - به إلى أن يرضى ولى المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا القيام عليه.

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما جاء فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ، **وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين** لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم فإنه لا يوتغ - يهلك - إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشطيبة - الشطنة - مثل ماليهود بنى عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا يحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك - قتل - فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم، وإن على أبر هذا - على الرضا به، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، **وإن بينهم النصر على من حارب** أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، **وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين**، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة - جوفها : حرفها - وإن الجار كالنفوس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه كان بين أهل هذه الصحيفة من حديث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى **الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم - غشى - يثرب، وإذا دعوا** إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، وإن يهود الأوس والخزرج مواليهم وأنفسهم على مثل ذلك، ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحسن، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمدٌ رسول الله.

نماذج من تشكيك اليهود وتلبيسهم :

على الرغم من كتاب الموادعة الذى كتبه السراج المنير ﷺ بينه وبين اليهود إلا أنهم لم يتخلوا عن طبيعتهم الخبيثة فقد جاء نفر من يهود النبى ﷺ وقالوا :

- يا محمد، صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته - صفته - فى التوراة فأخبرنا من أى شئ هو ؟ ومن أى جنس هو ؟ أ ذهب هو أم نحاس أم فضة ؟ وهل يطعم وهل يشرب؟ ومن ورث الدنيا ومن يورثها ؟

كانوا يتحدثون فى صلف وغرور كأنما كانت عندهم خزائن علم الله ﷻ، وما خطر لهم على بال أن صفات الله التى نزلت على موسى عليه السلام، قد اعتورها ما اعتور التوراة فى أرض السبى، وأنهم لما كانوا منهزمين مخذولين فى بابل راحوا يصورون إلاههم يهوه إلـها صحراويا قاسيا يحب سفك الدماء ويبارك الخديعة والغش **والبهتان إلـها قد صاغته أمانيهم فهو لبنى إسرائيل وحدهم دون الناس.**

فأنزل السميع البصير على خاتم النبيين ﷺ **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** [سورة الإخلاص].

فبهتوا وانصرفوا وهم يفكرون فى حوار آخر يعاونهم على إطفاء ذلك النور الذى غمر المدينة.

وذات ضحى كان الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ يمشى مع الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود فى حرث المدينة، وهو متكئ على عصيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض :

- سلوه عن الروح.

فقال بعضهم :

- لا تسألوه، لا يستقبلكم بشىء تكرهونه.

فسألوه عن الروح فقالوا :

- يا محمد، ما الروح ؟

يقول عبد الله بن مسعود :

فما زال متوكئا على العصيب فظننت أنه يوحى إليه فقال ﷺ :

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}. [سورة الإسراء الآية : ٨٥].

فقال بعضهم :

- لقد قلنا لكم لا تسألوه (رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود).

فقال بعضهم :

- يا محمد، كيف لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة، ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ؟

فعارضهم المبعوث رحمة للعالمين ﷺ الله ﷻ.

فغلبوا.

وذات يوم ذهب الصحابيان الجليلان معاذ بن جبل وبشر بن البراء إلى جيرانهم اليهود فقالا لهم :

- يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وكفر، وكنتم تخبروننا أنه مبعوث وتصفونه بصفته.

فقال سلام بن مشكم من عظماء يهود :

- ما جاء بشيء نعرفه، ما هو الذى كنا نذكره.

فأنزل العليم الخبير **{وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}** [سورة البقرة الآية : ٨٩].

فلعنهم الله ﷻ وسماهم الكافرين.

وذات يوم انطلق نور الظلمة ﷺ ومعه الفاروق إلى مالك بن الصيف وكان زعيما **ورئيسا على اليهود وكان سمينا،** فراح النبى الأمى الهاشمى العربى المكى ﷺ يحاوره ومالك ابن الصيف يرد فى صلف وعجرفة واستعلاء وغلظة فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض - يكره - الحبر السمين ؟ قد سمنت من مالك الذى تطعمك اليهود.

فضحك القوم، وغضب مالك بن الصيف.

والتفت إلى عمر بن الخطاب وقال فى ثورة وانفعال:

- ما أنزل الله على بشر من شيء.

فأنزل السميع العليم**{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ}** [سورة الأنعام الآية ٩١].

وسمع اليهود ما أنزل تبارك وتعالى فمثلوا غضبا فلولا ما قال مالك بن الصيف ما ألزمهم القرآن الحجة، ولما كانت هناك فرصة للطعن عليهم واتهامهم بالعبث فى التوراة.

ومشى اليهود إلى زعيمهم مالك بن الصيف والغيظ يأكل أكبادهم فقالوا له :

- ما هذا الذى بلغنا عنك ؟

فقال مالك بن الصيف ليبرر سقطته :

- إنه - يعنى رسول الله ﷺ - أغضبنى.

أينكر زعيم يهود أن التوراة لم تنزل على موسى عليه السلام، لأن الهادى النذير ﷺ أغضبه ؟ أينكر الوحى الذى قامت عليه اليهودية لأن إمام الخير ﷺ ذكر حقيقة أن الله يبغض الحبر السمين؟ إنه جعلهم سخرية جيرانهم الذين كانوا ينظرون إليهم فى إجلال لأنهم أصحاب الكتاب الأول.

اليهود وصرف القبلة عن الشام :

قال تعالى:**{سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**. [سورة البقرة الآية : ١٤٢].

المراد بالسفهاء أحبار اليهود.

لقد قال القرآن: سيقول

وقد قالوا

قال ترجمان القرآن - عبد الله بن عباس -:

عندما صرفت القبلة عن الشام - بيت المقدس - إلى مكة - الكعبة - استغل اليهود هذا الحادث وقاموا بمناورات خبيثة هدفها زعزعة إيمان المسلمين بالدين الجديد فقد جاء نفر من زعمائهم : رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو بن الأشرف وكنانة بن الربيع وغيرهم النبى ﷺ وقالوا :

- يا محمد، ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك.

كانوا يريدون بذلك أن يعود رسول الله ﷺ إلى قبلتهم - بيت المقدس - ويفتنوه عن دينه، ولكن أبا القاسم ﷺ لم يستجب لهم فأنزل الله تعالى:**{سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا}**.

وقال البراء بن عازب :

إن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرا - منذ أن فرضت الصلاة فى السماء ليلة الإسراء والمعراج -

وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت - الحرام -.

وكان رسول الله ﷺ يكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل السميع البصير **{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}** [سورة البقرة الآية : ١٤٤].

ولما رأى اليهود أن خاتم النبيين ﷺ اتخذ البيت الحرام قبلة ولن يعود إلى قبلتهم - بيت المقدس - قالوا لبعض أصحابه :

- ما حال الناس الذين كانوا يصلون نحو بيت المقدس وماتوا - مثل أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار والبراء بن معرور - ؟.

فجاء بعض الصحابة النبى ﷺ وتساءلوا :

- ما حال أصحابنا الذين صلوا إلى بيت المقدس كأسعد بن زرارة والبراء بن معرور وقد ماتوا ؟ لقد سألنا يهود عن حالهم.

فأنزل الله تعالى:**{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** [سورة البقرة الآية : ١٤٣].

إيمانكم : صلاتكم.

أى ما كان الله ليضيع محمدا ﷺ وانصرافكم معه حيث انصرف، وما كان الله يضيع ثواب هذه الصلاة - إلى بيت المقدس - ثم أنزل تبارك وتعالى:**{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ}** [سورة البقرة الآية : ١٤٥].

يخبر الله ﷻ عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن خاتم النبيين ﷺ وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى:**{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ}** وقوله:**{وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ}** إخباره عن شدة متابعة السراج المنير ﷺ لما أمره الله تعالى وأنه كما هم متمسكون بآرائهم وأهوائهم فهو أيضا متمسك بأمر الله وطاعته، واتباع مرضاته وأنه لا يتبع أهواءهم فى جميع أحواله ولا كونه متوجها إلى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود وإنما ذلك عن أمر الله ﷻ.

محاولة اليهود بعث الروح الجاهلية بين القبائل :

بالإضافة إلى افتراء اليهود على الصادق المصدوق ﷺ ومحاولة تشكيك الناس فى صدقه، **كان اليهود يحاولون بث الفتنة بين أتباعه من الأوس والخزرج** والعودة بهم إلى فوضى الجاهلية بإثارة النعرات القبلية القديمة التى كانت ملتهبة بين هاتين القبلتين، والتى قام عليها الوجود اليهودى واستقر فى يثرب، وكان هدفهم من هذا كله أن تفشل الدعوة الإسلامية فى جمع كلمة العرب على كلمة لا إلـه إلا الله فيتهاوى بنيان النظام الوليد الجديد.

مر شماس - شاس - بن قيس أحد أحبار اليهود وكان عظيم الكفر شديد الحقد والكراهية على المسلمين فوجد نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج فغاظ ما رآهم من الألفة والمحبة وهم الذين كانوا إلى عهد قريب لا يلتقون إلا فى معركة تسيل فيها الدماء وتزهق فيها الأرواح، **فيكون عليهم سويا الغرم ولليهود المغنم.**

غاظ اليهودى الخبيث اجتماع هذين الحيين على الإسلام فأفصح عن تخوفه على الوجود اليهودى من هذا الاجتماع لأن بقاء اليهود الدخلاء على الأرض العربية إنما هو مرتهن ببقاء الأوس والخزرج كما كانوا فى الجاهلية متقاطعين متحاربين.

قال الحبر اليهودى وهو يتنهد لهبا :

- قد اجتمع بنو قيلة - يعبر دائما عن الأوس والخزرج ببنى قيلة - بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

وراح يقدح زناد فكره **ليفرق هذا الجمع المتحاب فى رحاب الإسلام**، فأمر شابا يهوديا يندس بين أولئك النفر وكلفه ببذر بذور الفتنة بينهم ما وجد إلى ذلك سبيلا، لعلهم يختلفون وتثور الحرب الجاهلية بينهم من جديد فتصاب الدعوة الإسلامية بانتكاسه ويتقوى الجانب اليهودى.

وقال شاس بن قيس لذلك الشاب اليهودى :

- اعمد إلى هؤلاء فاجلس معهم.

ثم أمره أن يضرب على أدق وتر حساس فى تاريخ هاتين القبيلتين الجاهلى، له

ذكرى أليمة ومثيرة فنفوسهم وخاصة الخزرج، وأمره أن يحدثهم عن يوم بعاث الشهير، وهو يوم دارت فيه رحى معركة طاحنة بين الأوس والخزرج، كاد فيه الأوس يبيدون إخوانهم الخزرج حيث كان النصر لهم عليهم به وذلك قبل أن يدخل الإسلام يثرب، وهى آخر مآسى الحرب الأهلية التى كانت تدور فى الجاهلية باستمرار بين هاتين القبلتين.

نجاح اليهود فى إثارة الحرب الأهلية.

نفذ الشاب اليهودى رغبة الحبر الخبيث، وانضم إلى مجلس الأوس والخزرج **وشارك معهم الحديث ثم جرهم بأسلوب يهودى ماكر خبيث إلى ذكر يوم بعاث،** فأخذ كل منهم يتحدث عن بطولته وبطولة قومه فى ذلك اليوم، فأخذت بوادر التحزب والتعصب والحمية والفتنة تظهر فى المجلس، فسارع الشاب اليهودى إلى إذكاء نيرانها فأنشدهم بعض ما قيل من أشعار حماسية مثيرة فى يوم بعاث، فراح كل رجل من الأوس يساور الآخر من الخزرج ويفاخره وينازعه، وتحول الجدل إلى شجار ووقف أحد زعماء الخزرج متحديا وقال للأوس :

- إن شئتم رددناها جذعة - يعنى الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية بين القبيلتين - فاشتط الغضب بالفريقين واتعدوا للحرب وقالوا :

- موعدكم الظاهرة - الحرة -.

وأعلن النفير فى القبيلتين، فأخذ كل سلاحه وتوجه للحرب إلى المكان المحدد.

طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ ينقذ الموقف :

كاد اليهود ينجحون فى بلوغ أهدافهم الخبيثة لولا عناية السميع البصير، إذ بلغ كاشف الغمة ﷺ نبأ هذا الحدث الخطير فسارع ومعه المهاجرون بالخروج إلى الحرة، فوجد كل قبيلة قد احتشدت فى ناحية.

فوقف الرحمة المهداة ﷺ بينهما وقال :

يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم ؟؟

وهنا عاد إلى الفريقين رشدهم وأدركوا **أنها كانت نزغة من الشيطان ومكيدة يهودية**، فأغمدوا سيوفهم ونكسوا رماحهم، ثم قالوا :

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبكوا.

وأخذ الرجال من القبيلتين يعانق بعضهم بعضا.

إحباط فتنة اليهود :

بهذا أحبط الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مساعى اليهود الخبيثة وردهم على أعقابهم خائبين خاسرين بعد أن كادت تنجح دسائسهم ومؤامراتهم الدنيئة التى تستهدف تمزيق وحدة المسلمين الوليدة.

ولقد أغرى اليهود موقف الحلم والصبر الذى يقفه صاحب الخلق العظيم ﷺ إزاء تعنتاتهم واستفزازاتهم ومحاولاتهم الصد عن دين الإسلام وتفريق كلمة المسلمين والإطاحة بالعهد الجديد فازدادوا فى أذاهم وتوسعوا فى ميدان الكيد إلى درجة صاروا معها يسخرون من أبى القاسم ﷺ فيدعون عليه وعلى أصحابه بالموت - فى صيغة التحية التقليدية - فكانوا إذا مروا بمجلس فيه سيد الأولين والآخرين ﷺ فيقولون :

- السَّام عليكم.

وهى كلمة تعنى : الموت لكم.

فيحتمل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ كل هذا ثم يقول لأصحابه :

- إذا قال لكم اليهود : السام عليكم، فقولوا : وعليكم.

وقد اشتط اليهود فى جحودهم وصاروا ينكرون فى كل مجلس أن يكون ذكر النبى الخاتم ﷺ قد جاء فى شىء من كتبهم وأن كتبهم وأن جميع أحبارهم لا يعرفون شيئا من هذا القبيل.

لما مات أسعد بن زرارة :

كان أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس أول من دخلا بالإسلام يثرب، ويوم العقبة عندما اجتمع الأنصار بنبي الرحمة ﷺ ليبايعوه فقال عليه الصلاة والسلام :

- أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم.

فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

فمن الخزرج أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار.

ولما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة راح السفهاء يفحون فى آذان بنى النجار :

- لقد مات نقيبكم.

فجاء بنو النجار وقالوا للسراج المنير ﷺ :

- اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم.

وكره خاتم الأنبياء ﷺ أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فقال لهم :

- أنتم أخوالى وأنا نقيبكم.

فقضى طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ على المطامع التى بدأت تتحرك فى صدور سادات بنى النجار **وأخمد أنفاس الفتنة التى كاد السفهاء أن يضرموا نارها ورضى بنى النجار جميعا أن يكون أبو القاسم ﷺ نقيبهم، وكان ذلك من مفاخرهم.**

لقد كان الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ عليما بالذات البشرية يعرف كيف يعالج نزواتها ويطمئن القلوب القلقة ويعيد النفوس النافرة إلى جادة الطريق.

وبلغ السخف بالسفهاء والمنافقين أن قالوا :

- لو كان نبيا لم يمت صاحبه - يعنون أسعد بن زرارة -.

فلما بلغ حبيب الرحمن ﷺ ذلك قال :

- بئس الميت أبو أمامة ! اليهود ومنافقو العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه؟ ولا أملك لنفسى ولا صاحبى من ذلك من شىء.

تبديل اليهود حكم الرجم فى التوراة :

ذات يوم اجتمع أحبار يهود فى المدراس - وهو أشبه بجامعة عبرية لليهود بالمدينة - وتدارسوا موضوع مقاومة سيد ولد آدم ﷺ والصد عن دعوته، وبينما هم يتباحثون عرضت عليهم قضية رجل وامرأة منهم **ارتكبا جريمة الزنا**، فاتفقوا على أن يمتحنوا النبى الخاتم ﷺ عن طريق عرض

هذه القضية ليحكم فيها وقالوا :

ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما ؟ وولوه الحكم عليهما وأخبروه أنهما كانا أحصنا، فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية - عند اليهود: الجلد بحبل من ليف مطلى بقار، ثم تسود وجها الزانيين المحصنين، ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - فاتبعوه فإنما هو ملك وصدقوه، **وإن حكم فيهما بالرجم فإنه نبى فاحذروا على ما فى أيديكم أن يسلبكموه.**

ونفذ أحبار يهود ما اتفقوا عليه وذهبوا إلى المبعوث للناس كافة ﷺ وعرضوا عليه قضية الزانيين وجعلوا إليه أمرهما ليحكم فيهما، وتعهدوا له بتنفيذ الحكم الذى يصدره.

وكان الإسلام قد ترك لليهود الفصل فى أحوالهم الشخصية كما هو عادته فى التسامح مع أصحاب الأديان الأخرى.

ولم يتردد الهادى البشير ﷺ فى قبول التحكيم سيما أنه بموجب المعاهدة المبرمة بينه وبين اليهود يعتبر الحاكم الأعلى لهؤلاء اليهود بصفتهم مواطنين فى ظل دولة يثرب التى يرأسها.

تساءل حبيب الرحمن ﷺ :

- كيف تفعلون بمن زنا منكم ؟

قال أحبار يهود :

- نضربهما.

فعقد الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مجلسا ودعا إليه أحبار يهود وطلب منهم إحضار التوراة وكلف أحد أحبارهم بتلاوتها، وكان عبد الله بن سلام حاضرا.

كان أبو يوسف الإسرائيلى يهود يا من أكبر زعمائهم وقد هداه الله إلى الإسلام، وكان عالما بطبيعة الدس والكذب والخديعة والافتراء

المتأصلة فى نفوس أحبار اليهود.

كان فخا أوقع أحبار يهود فيه أنفسهم بإثارة هذه القضية، كانت التوراة تنص على أن الرجم هو حكم الزانى المحصن، وكان اليهود يحرصون على أن لا يعلم رسول رب الأرض والسماء ﷺ هذه الحقيقة.

وعاد أبو القاسم ﷺ يتساءل :

- فما تجدون فى التوراة ؟

قالوا :

- لا نجد فيها شيئا.

فطلب الذى أوتى جوا مع الكلم ﷺ أن يقرؤوا التوراة.

فقرأ الحبر التوراة، ولكنه عندما وصل إلى الآية التى تنص على وجوب رجم الزانى المحصن **وضع يده عليها وأراد أن، يتخطاها.**

فوثب عبد الله بن سلام الذى يجيد اللغة العبرانية كأكبر أستاذ فيها ودفع يد الحبر عن آية الرجم وخاطب السراج المنير ﷺ :

- هذه يا نبى الله آية الرجم يأبى المدراس أن يتلوها عليك.

ثم تساءل عبد الله بن سلام :

- ما هذه ؟

فنظر أحبار اليهود إلى التوراة ونكسوا رؤوسهم وقالوا :

- آية الرجم.

وأمام إدانة هؤلاء الأحبار الصريحة بالغش والكتمان وخيانة العلم وكتم ما أنزل الله ﷻ توجه إليهم إمام الخير ﷺ بالكلام موبخا قائلا :

- ويحكم يا معشر يهود: ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيدكم ؟

فتخاذل هؤلاء الأحبار ولم يسعهم إلا أن يعترفوا بالتحريف والتبديل والتلاعب فى أحكام الله بعد أن سد عبد الله بن سلام كل السبل فى

وجوههم وفضحهم فقالوا :

- أما والله إن الرجم قد كان فينا يعمل به بحكم التوراة حتى زنا رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم، ثم زنا رجل بعده فأراد أن يرجمه.

فقالوا :

- لا والله حتى يرجم فلانا.

فلما قالوا ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية، **وأماتوا ذكر الرجم** والعمل به فقال خاتم النبيين ﷺ :

- فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به.

ثم أمر بالزانيين فرجما.

يقول عبد الله بن عمر :

كنت فيمن رجمهما.

وهكذا طغى اليهود فى غيهم ولم يزدهم تجدد الأدلة على صدق نبوة محمد ﷺ إلا بغيا وحسدا، فقد ضاعفوا من نشاطهم ضد النبى ﷺ.. ولكن دون جدوى.

المد الإسلامى يجرف اليهود :

كان المد الإسلامى داخل المجتمع اليثربى أقوى من كل ما يقوم به اليهود من مناورات ودسائس، وبالتالى كان أقدر على الذهاب بكل الحواجز والعراقيل التى أرهق السفهاء أنفسهم فى إقامتها لصد تيار دعوة القرآن.

حيث لم تزد هؤلاء اليهود الأيام إلا تكشفا للرأى العام على حقيقتهم الخبيثة، **وصار كل يوم يمر على حربهم الجدلية المتعنتة مع الإسلام يكشف عن نقيضة من نقائض تناقضهم، أو يرفع الستار عن مكيدة أو دسيسة أو مؤامرة أو خبية من خبايا نواياهم الخبيثة الشريرة التى يبيتون لأهل يثرب خاصة.**

وبدلا من أن ينصاع أهل يثرب إلى مغالطات اليهود ويتأثروا بتلبيس السفهاء وبسحب الشكوك التى يرسلونها حول الدعوة الجديدة الحقة فيندفعوا فى تيار أراجيف هؤلاء اليهود المغرضة، **تركوهم وحدهم فى الميدان.**

فلم يمض أكثر من خمسة أشهر على وصول إمام الخير ﷺ إلى المدينة حتى أصبح كل الناس فيها وما حواليها من منطقة - ماعدا اليهود - يدينون

بالإسلام ويخضعون لنظامه وشريعته.

حتى أصدقاء هؤلاء السفهاء من العرب المنافقين الذين تعلموا النفاق على أيدى هؤلاء اليهود فى المدينة لم يسعهم أمام المد الإسلامى الزاخر إلا أن يعلنوا - ظاهريا - إسلامهم إسرائيليين وعرب.

اغتباط اليهود بزحف قريش إلى يثرب:

كاد السفهاء يطيرون فرحا عند سماعهم تحركات الجيش المكى فى السنة الثانية للهجرة نحو بدر لضرب المسلمين، **وكان اليهود يعلقون أكبر الآمال على نشوب المعركة بين الفريقين فى بدر**، فقد كانوا يظنون أن جيش قريش الكبير سيكفيهم مؤنة استئصال شأفة المسلمين والقضاء على النبى الخاتم ﷺ وأتباعه، وبالتالى سيجتث جذور الدعوة الإسلامية من الأساس.

لذلك حرص السفهاء كل الحرص على التقاء محمد ﷺ وأصحابه وجيش قريش فى بدر.

وكانوا يتمنون - بل كانوا على يقين - أن النصر والغلبة ستكون للجيش المكى على المسلمين - لأن كل شئ مادى يوجب الاعتقاد الجازم من الناحية المجردة بأن النصر فى معركة بدر سيكون إذا ما نشب القتال حليف جيش قريش الذى بلغ عدده ألف مقاتل مسلحين أحسن تسليح ومجهزين أحسن تجهيز، يقابله فى الجانب الآخر ثلاثمائة رجل من المسلمين أكثرهم حفاة لا ظهر لهم - كل ثلاثة كانوا يتعاقبون بعيرا - ليس معهم دروع ولا مغافر.

وكجزء من الحرب النفسية العنيفة التى وجهها السفهاء ضد الإسلام والمسلمين، وفى الظروف التى نشبت فيها معركة بدر الكبرى، وقبل أن تتلقى المدينة أخبار نتائجها النهائية، كان اليهود يؤازرهم المنافقون قد نظموا حملة دعائية واسعة من الإرجاف والتشويش لتحطيم معنويات المسلمين وإشاعة روح التخاذل والتفكك والفزع بينهم.

حتى إن السفهاء والمنافقون أشاعوا أن النبى ﷺ قد قتل وأن جيشه قد تحطم فى معركة بدر، وأن جيش مكة زاحف بقيادة عمرو بن هشام - أبو جهل - لاحتلال المدينة ومحو آثار الدعوة الإسلامية من الوجود.

وقد فعلت هذه الأراجيف فعلها السيئ فى نفوس المسلمين فى مدينة

رسول الله ﷺ، وهذا هو الذى خطط وهدف إليه السفهاء من وراء إشاعاتهم الكاذبة المغرضة.

وبينما كان المسلمون تتقاذفهم أمواج الحيرة ونهبا للقلق والخوف نتيجة هذه الإشاعات اليهودية إذ بزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران بانتصار المسلمين فى معركة بدر فتهتز مدينة رسول الله ﷺ بالتكبير والتهليل من أقصاها إلى أقصاها بنصر الله **المؤزر الذى عن طريقه دخل المسلمون من أوسع أبوابه.**

أما السفهاء فقد صعقوا لنبأ انتصار خاتم النبيين ﷺ وأصحابه الساحق الذى ما كانوا يتصورون حدوثه مطلقا، وكادوا يتهمون أسماعهم عندما سمعوا صوتى البشيرين عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة يدويان وهما يركضان راحلتيهما فى أنحاء المدينة يبشران المسلمين بانتصار الجيش النبوى على جيش قريش فى بدر.

وسقط فى أيدى السفهاء وكادوا يتهمون أبصارهم وعلاهم الذهول عندما رأوا زعماء وفرسان وصناديد وقادة جيش فى معركتهم الخاسرة يساقون أسارى تحت حراسة رماح أصحاب النبى الخاتم ﷺ وقد شدت أيديهم بالحبال إلى الوراء يعلوهم ذل الهزيمة ومهانة الانكسار، يتعثرون فى خطاهم وكأنهم لا يبصرون.

تحطمت آمال اليهود وانهارت أحلام السفهاء وانقلبت أفراح قتلة الأنبياء أتراحا حيث كانوا يتمنون بل يتوقعون سحق المسلمين فى هذه المعركة التى كان انتصارهم فيها على قريش ليس بداية تسلمهم مقاليد الأمور فى يثرب فحسب بل فى جزيرة العرب بل فى العالم بأثره الأمر الذى أطار صواب السفهاء وجعلهم يتوقعون نهاية أمرهم، **ففكروا وقرروا اتباع أسلوب جديد فى محاربة الإسلام ونبى الإسلام ﷺ.**

اليهود ينقلون المعركة ضد الإسلام إلى صعيد أوسع:

بدلا من أن يعود السفهاء إلى صوابهم أمام ذلك النصر الساحق الذى حققته الدعوة الإسلامية فى المجالين الحربى والعقائدى، تلك الدعوة التى تمكن حامل لوائها بصدق لهجته وصفاء نفسه ودماثة خلقه وشرف مقصده وحلمه الواسع ﷺ أن يضم تحت **جناحى هذه الدعوة الحانية كل سكان**

يثرب دون أن يضطر إلى إراقة قطرة دم واحدة.

نعم بدلا من أن يعود اليهود إلى صوابهم ويستجيبوا لداعى الحق الذى يهتف بهم فإنهم ازدادوا عنادا ومكابرة وارتفعت نيران حقدهم وحسدهم وطفحت صدورهم بدخان البغى لحامل لواء دعوة الإسلام ﷺ.

وفكر اليهود فى نقل المعركة ضد المبعوث للناس كافة ﷺ وأتباعه إلى صعيد أكثر فاعليه وأكثر شمولا.

فلم يكتف السفهاء بالصد عن الإسلام ومحاولة التشكيك للناس فى صدق أبى القاسم ﷺ وسلخهم عن الدين الجديد عن طريق الجدل والتزوير والتشويه والتشكيك حول جوهر الدعوة الجديدة الحقة داخل يثرب.

بل ذهب الحقد الأعمى والحرص القاتل على تقويض معالم الدعوة الإسلامية والقضاء على حامل لوائها فى عقر دارها إلى أن يذهب منهم أحبار دينيون ووجهاء ماليون وزعماء سياسيون يطوفون فى أنحاء الجزيرة العربية بين مضارب البدو وفى الصحراء وأندية الحضر فى المدن والحواضر، ولا بحملات دعائية سلاحها التنفير والتشكيك والتكذيب ضد دعوة سيد ولد آدم ﷺ فحسب كما فعلوا فى يثرب، وإنما ليقوموا بتحذير القبائل العربية ويشرحوا لها خطر الدعوة الإسلامية ويدعوهم إلى **مقاومتها بحد السلاح، بل وتجهيز الجيوش للقضاء على هذه الدعوة ودعاتها فى مقرها الرئيسى قبل أن يستفحل أمرها فتقضى عليهم.**

وكان هذا من السفهاء بداية خطيرة فى تطور الصراع بينهم وبين المسلمين الذين غيروا من نظرتهم التقليدية المتسامحة إلى المقاومة اليهودية للدعوة الإسلامية التى لم تعد كما كانت مجرد حرب دعائية سلاحها التنفير والتشكيك والإرجاف والتكذيب، وإنما السعى لدى القبائل العربية الوثنية القوية الضاربة وبث روح الكراهية بينها وبين المسلمين **وتحريضها على حربهم وإغرائها عن طريق المال بغزو المسلمين وضربهم فى مقر دعوتهم الرئيسى، مما حمل القيادة الإسلامية فى المدينة على تغيير أساليب حماية** الدعوة مما يهددها من اليهود فى مخطط مقاومتهم الجديدة.

اليهود بعد انتصار المسلمين فى بدر:

كان السفهاء قبل معركة بدر يكتفون فى مقاومة دعوة الإسلام بشن حرب

دعائية سلاحها إعنات خاتم النبيين ﷺ بالأسئلة الحرجة وإثارة عناصر اللبس والتشكيك حول الدعوة الإسلامية طمعا فى أن ينفض الناس من حولها ويفقدوا الثقة بحاملها فلا يبقى لها من خطر على سلطان اليهود فى يثرب.

وكان صاحب الخلق العظيم ﷺ إزاء كل هذا قد ترك للسفهاء مطلق الحرية ليجهروا برأيهم فى الدعوة الإسلامية بل وليبدوا طعونهم فى جوهرها ويجاهروا بتكذيب حاملها، وكان حبيب الرحمن ﷺ يكتفى بإيضاح بطلان هذه الآراء، وكان النبى الأمى القرشى الهاشمى المكى ﷺ يصغى إلى استجواباتهم المتعنتة فى صلب العقيدة والدين التى يتقدمون بها فى مناظرتها المعلنة فيجيبهم على هذه الأسئلة المثيرة بكل هدوء دون أن يبدو عليه انزعاج أو انفعال.

ولم يثبت أنه اتخذ أى إجراء تأديبى ضد هؤلاء السفهاء مع علمه ﷺ بأنهم فى استجواباتهم ومناظراتهم لا يبحثون عن الحق لاتباعه وإنما يبحثون عن المتاعب والشكوك لإثارتها فى وجه هذا الحق الذى جاء به خاتم الأنبياء ﷺ، والذى يعرفونه قبل غيرهم أنه الحق فصاروا يقاومونه بكل وسيلة ممكنة بغيا وحسدا.

النبى ﷺ وحرية الرأى:

كان سيد الأولين والآخرين ﷺ بموقفه المتسامح الذى وقفه من اليهود الذين شنوا **عليه وعلى دعوته حربا إعلامية واسعة متواصلة عنيفة فكان طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ أول من وضع ونفذ قانون حرية الرأى فى القول والفكر للمخالفين فى العقيدة والدين.**

فليس مشرعو القوانين الحديثة فى البلاد الديمقراطية من العالم الحر الذين يفخرون بأن حكوماتهم تمنح الفرد حرية الرأى والفكر ويعلن ما يريد أن يقول ولو كان هذا الرأى أو القول يتنافى مع رغبات الحاكم الأعلى ولا يتفق مع اتجاهاته إلا عيالا على ذلك القانون الذى وضع اسمه معلم البشرية الأعظم ﷺ وطبقه إزاء خصومه من مواطنيه فى العقيدة والدين والاتجاه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

بل إن مشرعى القوانين الحديثة فى البلاد الديمقراطية الغربية لم يستطعوا حتى بداية القرن الحادى والعشرين أن يقتربوا فى مجال منح

الحريات العامة مما أعطاه صاحب الخلق العظيم ﷺ فى هذا المجال من حريات مطلقة لمواطنيه ممن يخالفونه فى الرأى والعقيدة **والدين كما رأينا فى مواقفه ﷺ المتعددة مع السفهاء الذين لم يتركوا وسيلة خسيسة أو دنيئة أو خبيثة من وسائل الإعلام إلا استخدموها ضد دعوة إمام الخير ﷺ وسخروها لتنفير الناس عنه وتشكيكهم فيما يدعو إليه بل الطعن صراحة فيه وفى رسالته.**

ومع ذلك لم يقم ضدهم بأى أعمال تأديبية من سجن أو فرض غرامة أو نفى أو ما شابه ذلك مع العلم أنه ﷺ كان قادرا على ذلك لأن الأمة كلها - ما عدا اليهود - طوع إشارته.

وهذه المعاملة مع الخصوم فى مجال العقيدة والسياسة لم يستطع أرقى تشريع فى العالم المتحضر اليوم الوصول إليها.

فالقوانين العصرية فى البلاد المسماه بالديمقراطية فى الغرب تنص على إطلاق الحريات العامة للمواطنين على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وتحمى هذه الحريات **ولكن بشرط ألا تستخدم هذه الحرية للتخريب وإشاعة الفرقة بين الناس.**

أما إذا استخدمت الحريات لهذا الغرض فإن القوانين تمنع هذه الحرية وتضرب على أيدى مستغليها لذلك الغرض التخريبى الذى يؤدى فى النهاية إلى هدم النظام القائم وإذا رجعنا إلى محاضر معاملة صاحب الخلق العظيم ﷺ لليهود وجدنا أنه قد وقف منهم تلك المواقف المتسامحة ومنحهم مطلق الحرية ليقولوا فيه وفى دينه ونظامه ما شاءوا، مع العلم أنهم لا يقصدون بكل ما يقولونه من انتقادات ويتقدمون به من استجوابات حول **الدين الجديد والنظام الذى جاء به من استجوابات حول الدين وإشاعة الفتنة بين الناس وإسقاط النظام لتبقى لهم السيطرة على المجتمع.**

وهذا هو الذى يجعلنا نجزم أن النظم فى البلاد الغربية المتحضرة وفى القرن الحادى **والعشرين لا تزال فى قوانينها حول منح الحريات العامة للفرد بعيدة كل البعد عن المنزلة التى وصل إليها القانون النبوى فى هذه الناحية وخاصة مع المخالفين له فى العقيدة والدين والاتجاه.**

الطريق الخطر :

ظل نبى الرحمة ﷺ على موقفه مع السفهاء حيث ذهب بهم فى التسامح إزاء انتقاداتهم واستفزازاتهم ودعاياتهم المغرضة إلى أبعد الحدود، وحيث كانت مقاومتهم ومعارضتهم لدعوته لا تتعدى نطاق التسلح بالكلام والدعاية واللبس والتشويش والتكذيب ولكن السفهاء لما سلكوا فى **مقاومة الإسلام الطريق الآخر وهو طريق القوة** حيث بدأوا يتدرجون فى هذا الطريق الخطر مبتدئين بالتهديد بالحرف والطواف على القبائل العربية الوثنية. **وتحريضهم وإثارتهم وحشدهم لحرب النبى الخاتم ﷺ ومحاولة** اغتياله ﷺ شخصيا، **سلك النذير البشير ﷺ فى مواجهة هذا التخطيط اليهودى الجديد طريقا آخر أكثر حزما.**

وكانت فعالية هذا الحزم لحماية الدعوة تتطور من جانب صاحب الشفاعة ﷺ وتتسع بتطور إيغال السفهاء وتوسعهم فى ميادين المؤامرات والتكتلات التى غايتها هدم الدين الجديد والإطاحة بالنظام الذى جاء به عن طريق اللجوء إلى سفك الدماء.

وكان أول السفهاء المتحرشين بالمسلمين عسكريا هم يهود بنى قينقاع الذين كانوا أشجع الطوائف اليهودية فى الجزيرة العربية وكانوا من أغنياء المدينة فقد أخذوا يتحرشون بالمسلمين ويهددونهم بالحرب.

وقد كان انتصار المسلمين على المشركين فى غزوة بدر هو الذى أفقد السفهاء صوابهم وجعلهم ينقلون الحرب والمقاومة ضد المبعوث للناس كافة ﷺ ودعوته من الكلام إلى العمل الدامى والعنف وإيقاف تيار الدعوة ومقاومتها بالقوة وسفك الدماء. ولم يكن أبو القاسم ﷺ غافلا عما بدر من السفهاء بل كان يرقب حركاتهم المريبة منذ بدأوا يسلكون الطريق الخطر.

وكان يهود بنى قينقاع أول من سلك هذا الطريق وهدد بالحرب وإثارة الشغب على المسلمين، وكان يهود هذه القبيلة من أصل عربى لهم حصون منيعة يعتزون بها وكانت ديارهم أقرب ديار السفهاء جميعا إلى المسلمين، إذ تقع منازلهم داخل المدينة نفسها، بينما تقع ديار بقية القبائل اليهودية وخاصة بنى قريظة والنضير خارج المدينة.

الرحمة المهداة ﷺ ينصح يهود بنى قينقاع:

لماظهر تحرش يهود بنى قينقاع بالمسلمين، واتضح عزمهم على

الوقوف فى وجه الدعوة الإسلامية **ولو عن طريق الحرب وسفك الدماء،** ولما بينهم وبين نبى الوفاء ﷺ من عهد وتحالف كره إمام الخير ﷺ الحرب وسفك الدماء ولجأ إلى النصح والمفاوضة فطلب الاجتماع بيهود بنى قينقاع، فاجتمعوا إليه فى مؤتمر عقده معهم فى سوقهم - كانوا تجاراً للذهب والفضة - محاولا إصلاحهم وإرجاعهم عن غيهم وثنيهم عن الاندفاع فى الطريق الخطر طريق الحرب الذى لم يعد خافيا على أحد أنهم يهددون بسلوكه.

ولاشك أن صاحب الخلق العظيم ﷺ وهو الحريص على الأمن والاستقرار والحريص على حقن الدماء أيا كان نوعها، لم يدع بنى قينقاع إلى ذلك الاجتماع والتحدث إليهم من بين جميع القبائل اليهودية فى يثرب إلا بعد أن تأكد أن لديهم النية الخبيثة **وأنهم يقومون بنشاط فيه إخلال بالأمن ونقض المعاهدة المعقودة بينهم وبين المسلمين وتهديد بالحرب.**

وحاول أبو القاسم ﷺ فى هذا الاجتماع إرجاع يهود بنى قينقاع إلى جادة الصواب - النصح والمفاوضة - والتزام نصوص المعاهدة المبرمة بين المسلمين وبين كافة اليهود، فنصحهم وذكرهم وحذرهم نتائج البغى والتحرش والعداون إن هم سلكوا طريقه، وذكرهم بالثمار المرة التى جنتها قريش يوم بدر نتيجة تهورها، وحمقها واندفاعها فى طريق الغرور والبغى والعدوان.

وقال عليه الصلاة والسلام :

- يا معشر يهود احذروا من الله ما نزل بقريش من النقمة.

ولكن سفهاء بنى قينقاع كان جوابهم على ذلك النصح النبوى الصادق غاية الغطرسة المشوبة بالوقاحة والتحدى مما أعطى الدليل على تصميمهم على سلوك طريق العنف والتهديد والحرب فقالوا :

- أترى يا محمد أنا قومك - يعنى قريشا - ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما نحن، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

وأمام هذه الاستفزاز والتحدى الذى فهم منه صاحب لواء الحمد ﷺ أشياء لابد أن يفهمها كقائد أعلى مسئول، كظم غضبه ولم يتخذ أى إجراء

ضدهم كرد فعل لهذا التحدى والتهديد، إلا أن المسلمين بعد ذلك ظلوا متيقظين يرقبون الأحداث فى انتظار ما ستتمخض عنه الليالى.

يهود بنى قينقاع ينقضون العهد:

كانت النية مبيتة وكان هناك مخطط مرسوم لدى هؤلاء السفهاء، فأخذوا فى تحرشهم بالمسلمين واستفزازهم ومحاولة إثارتهم وجرهم إلى حرب يرغب السفهاء سلفا فى إثارتها.

وذات يوم كانت امرأة مسلمة جاءت بحلى لها لتبيعه فى سوق بنى قينقاع فى المدينة، ولما جلست اجتمع عليها نفر من السفهاء يستفزونها ويتحرشون بها، فأرادوا أن تكشف عن وجهها فأبت ذلك، فعمد أحد اليهود إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهى غافلة، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك السفهاء منها وسخروا، فصرخت مستغيثة بالمسلمين الذين كان أحدهم حاضرا فوثب المسلم على اليهودى المعتدى **فقتله، فشد السفهاء على المسلم فقتلوه فوقع الشر بينهم.**

ولم يكن هذا الحادث الفردى هو المبرر الوحيد الذى جعل الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ليمشى إليهم ويضرب الحصار على يهود بنى قينقاع فقد كان هناك من الأسباب ما هو أكبر من هذا الحادث فقد صبر ومد رسول الله ﷺ حبل صبره إلى مالا نهاية، ثم كان الحصار بعد أن تأكد أنهم نقضوا العهد المبرم بينهما ومنابذته وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك**{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}** [سورة آل عمران الآية: ١٢].

حصار يهود بنى قينقاع:

رأى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ لا مناص من الاحتكام وهؤلاء السفهاء المتمردين إلى السيف، إذ لم يجد النصح والمفاوضة فرض الحصار عليهم بعد أن استعدوا لحرب **المسلمين، فاعتصموا بحصونهم، وكان ذلك فى منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة وكان الحصار بقيادة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب.**

وقد دام حصار اليهود خمس عشرة ليلة، قذف القوى المتين الرعب فى قلوبهم وانهارت معنوياتهم، **فطلبوا المفاوضة والتسليم.**

ففاوضهم أبو القاسم ﷺ، وانتهت المفاوضة باستسلام هؤلاء السفهاء دون قيد أو شرط ليحكم فيهم النبى ﷺ بما يريد الله ﷻ.

ونتساءل ما موقف بنى النضير ويهود بنى قريظة ؟

لم يحركوا ساكنا لنصرة إخوانهم السفهاء فى الدين ويبدو أن مرجع ذلك العداء القبلى المستحكم بين بنى قينقاع حلفاء الخزرج وبين بنى قريظة والنضير حلفاء الأوس.

المنافقون ويهود بنى قينقاع:

كان المنافقون **بقيادة زعيمهم رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول** يرقبون باهتمام بالغ ما كان يجرى بين المسلمين وبين حلفائهم يهود بنى قينقاع، وكانوا يتمنون من أعمق أعماقهم أن ينجح هؤلاء اليهود فى انتقاضهم وتمردهم على المسلمين.

وقدم عبد الله بن أبى بن سلول إلتماسا إلى نبى الرحمة ﷺ باسم قومه الخزرج أن يصدر أبو القاسم ﷺ عفوا عاما عن حلفائه يهود بنى قينقاع.

وتجاهل الصادق المصدوق ﷺ هذا الطلب غير أن محاولات متكررة ورجاءات ملحة من رأس المنافقين فأصدر المبعوث رحمة للعالمين ﷺ عفوا عاما عن السفهاء شريطة أن **يخرجوا من المدينة إلى أى مكان شاءوا.**

فجلوا عن مدينة رسول الله ﷺ **إلى الشام آمنين على أنفسهم وعلى ما قدروا على حمله من أموال.**

وبجلاء يهود بنى قينقاع تخلصت المدينة من عنصر يعد من أخطر العناصر اليهودية فى يثرب.

يقول المؤلف الإنجليزى المعروف الدكتور **مونتجمرى وات** فى كتابه محمد نبى ورجل دولة :

لقد طرد قبيلة قينقاع أحد العوامل الهامة التى عملت على تثبيت مركز محمد ودعمه.

طاغية اليهود الأكبر:

لم يتعظ باقى السفهاء بما نزل بيهود بنى قينقاع - كانوا أشجع وأقوى وأثرى يهود يثرب - بل ازدادوا توغلا فى سبل الكيد للإسلام والعمل

للقضاء عليه بقوة السلاح، إذ رأوا أن غير هذا الطريق الخطر لا يمكن أن يصل بهم إلى أهدافهم الشريرة المبيتة المدروسة.

وكان الطاغية الأكبر والمرابى الشهير وملك المال بين يهود يثرب **كعب بن الأشرف** اليهودى من أعظم السفهاء استخفافا بالمسلمين وتحديا لهم وأكثرهم إيذاءا لصاحب الخلق العظيم ﷺ وتحريضا عليه، وكان كعب بن الأشرف **شاعرا مجيدا**، فصار بالإضافة إلى كل ذلك يجرح شعور المسلمين فيشبب بنسائهم **- أم الفضل زوج العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ - ويتغزل فيهن بأسمائهن الصريحة -** وكان هذا السفيه يرجع نسبة إلى قبيلة طيئ من يهود بنى النضير، وكان له حصن منيع فى طرف المدينة جنوب وادى مهزور يحتوى على المياه وفيه ما يحتاجه هو وأتباعه من سلاح وميرة.

وكان كعب بن الأشرف أول حافز له على نقض العهد ومحاولة تحطيم المسلمين هو انتصارهم فى معركة بدر الكبرى، وذلك أن هذا اليهودى لما بلغه انتصار المسلمين ورأى البشيرين زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة اللذين أرسلهما الصادق المصدوق ﷺ يبشران المسلمين بالنصر، وسمع كعب بن الأشرف أسماء زعماء قريش وقادتها الذين صرعوا يوم بدر : أبو جهل بن هشام، أمية بن خلف، عتبة وشيبة ابنا ربيعة، نبيه ومنبه ابنا الحجاج، النضر بن الحارث، عقبة بن أبى معيط.. و.. و..

وأسماء الأسرى : سهيل بن عمرو، العباس بن عبد المطلب، الوليد بن المغيرة، عقيل بن أبى طالب، عمرو بن أبى سفيان.. و.. و..

فقال طاغية اليهود الأكبر فى حنق وغيظ :

- أحق هذا ؟ أترون محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان - يعنى زيدا وعبد الله بن رواحة ؟ - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

التحريض على المسلمين:

بالرغم من المعاهدة المعقودة بين المسلمين والتزام اليهود بموجب هذه المعاهدة عدم تأييد أو مد يد العون لقريش عدو المسلمين رقم واحد، وبالرغم من أن السفهاء لم يروا من المسلمين **قبل غزوة بدر أو بعدها إلا**

الوفاء بالعهد وعدم إيصال أى أذى إلى اليهود فإن الطاغية كعب بن الأشرف قد اغتلم الحقد والغدر فى نفسه فضرب بكل العهود والمواثيق عرض الحائط، **وصمم على الانتقام من المسلمين بغيا وحسداً ليس إلا.**

ولعجزه عن القيام منفرداً بأى عمل عسكرى حاسم ضد المسلمين، فقد خرج من المدينة **بقصد تحريض قبائل العرب على خاتم النبيين** ﷺ وحشدهم ودعوتهم إلى شن الحرب على المسلمين، وقد وصل فى جولاته التحريضية إلى مكة معقل قريش، فقابل زعماءها وكانوا له أصدقاء، وفى اجتماعاته بهم رثى قتلى قريش يوم بدر فقال :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ::: ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ::: لا تبعدوا إن الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ::: ذى بهجة يأوى إليه الضيع
طلق اليدين إذا الكواكب أخلفت ::: حمال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم ::: إن ابن الأشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا ::: ظلت تسوخ بأهلها وتصدع

ابن الأشرف : يعنى نفسه.

ثم قال يرثى أبا جهل بن هشام خاصة :

نبئت أن بنى المغيرة كلهم ::: خشعوا لقتل أبى الحكم وجدعوا

إلى غير ذلك مما قاله شعرا ونثرا فألهب كوامن الحقد الذى يملأ صدور قريش بشعره المهيج المثير، فكان له اليد الطولى فى تحريك نفوس الموتورين وتحريضهم للأخذ بثأر يوم بدر، ولم يرجع هذا السفيه من جولاته التحريضية إلا بعد أن قررت قريش غزو المسلمين فى عقر دارهم وقد أوعد طاغية اليهود الأكبر قريشا والموتورين بمد يد العون لهم عندما يقومون بغزو المسلمين.

واستمر كعب بن الأشرف فى غيه فلم يكتف بالهجاء بل شبب بأم الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وثانى امرأة أعلنت إسلامها بعد الطاهرة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين.

قال طاغية اليهود :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة ::: وتارك أنت أم الفضل بالحرم

صفراء رادعة لو تعصر انعصرت ::: من ذى القوارير والحناء والكتم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها ::: إذا تأتت قياما ثم لم تقم
اشباه أم حكيم إذا تواصلنا ::: والحبل منها متين غير منجذم
إحدى بنى عامر جن الفؤاد بها ::: ولو تشاء شفت كعبا من السقم
فرع النساء وفرع القوم ولدها ::: أهل المحلة والإيفاء بالذمم
لم أدر شمسا بليل قبلها طلعت ::: حتى تجلت لنا فى ليلة الظلم

منجذم : منقطع

مقتل طاغية اليهود :

لما رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة تعاظم شره وازداد خطره على كيان المسلمين، إذ أصبح مصدر تهديد لسلامة يثرب بأجمعها لما يقوم به من تحديات وتحريضات ضد المسلمين سافرة، يضاف إلى ذلك سلطانه المالى الذى أخذ يستخدمه للإخلال بالأمن والتحريض على الحرب ضد الإسلام ونبى الإسلام ﷺ الذى صبر على تحديات وتهديدات وإساءات هذا السفيه الأكبر الذى لم ير من نبى الوفاء ﷺ وصحبه إلا الوفاء بالعهد.

فهل رأى طاغية اليهود الأكبر أن حلم صاحب الخلق العظيم ﷺ ضعفا؟

هل رأى السفيه المرابى أن وفاء نبى الرحمة ﷺ بعهده وهنا ؟

ولما وصل كعب بن الأشرف إلى هذه المنزلة منزلة العدو والناكث المجاهر بعدواته المحرض المتهيئ للحرب، والذى لم يبق له مع ذلك عهد ولا ذمة كان على المبعوث للناس كافة ﷺ أن يضع حداً لطغيان هذا السفيه ليخلص المجتمع اليثربى من شروره وآثامه لأن بقاءه هكذا حرا يحرض على الحرب ويعمل على الإخلال بالأمن يعنى بقاء يثرب فى حالة قلق واضطراب مستمر.

لذلك قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ذات يوم لأصحابه :

- من لى بابن الأشرف ؟ فقد آذى الله ورسوله.

فقال الصحابى الجليل محمد بن مسلمة :

- أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله.

فقال حبيب الرحمن ﷺ :

- فافعل إن قدرت على ذلك.

فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش - أبو نائلة - وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش والحارث بن

أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر فقتلوا طاغية اليهود الأكبر.

هدوء السفهاء بعد مصرع الطاغية.

لزم اليهود الهدوء وأسرعوا إلى جحورهم يرتجفون فزعا، وانطووا على أنفسهم وقد عمهم الرعب بعد أن أوقف النذير البشير ﷺ من تحرشاتهم ومحاولاتهم العبث بالأمن والاستقرار تلك المواقف الحازمة التى تقضى مصلحة الأمة ويفرض النص القرآنى الصريح أن يقفها النبى ﷺ القائد المسئول عن كل مخرب خائن**{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}**. [سورة الأنفال الآية : ٥٨]. أمر العزيز الحكيم بضرب قواعد الغدر والخيانة وشل حركتها قبل أن يتعاظم شرها.

فقد كانت محاصرة يهود بنى قينقاع الناكثين ثم إجلاؤهم عن المدينة، والتمكن من قتل الناكث المحرض الخائن الطاغية الأكبر اليهودى كعب بن الأشرف درساً قاسياً فهل وعاه السفهاء جيدا ؟؟

لقد استكان السفهاء إذ لم يبد منهم لفترة محدودة أى تحرش أو استفزاز، فاستقرت الأحوال فى الداخل بعد أن لزم اليهود وحلفاؤهم المنافقون الهدوء وتظاهروا بأنهم عند عهدهم وميثاقهم المبرم.

يوم أحد:

كان مخيريق أحد يهود بنى ثعلبة، لما علم بمقدم قريش دعا يهود المدينة إلى نصر رسول الله ﷺ وقال لهم :

- والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق واجب.

فقالوا له :

- إن اليوم السبت.

فقال له :

- لا سبت لكم.

ثم أخذ سلاحه ولحق برسول ﷺ فقاتل حتى قتل، ولما بلغ كاشف الغمة ﷺ مقتل مخيريق - فى جانب المسلمين -.

قال عليه الصلاة والسلام:

مخيريق خير يهود.

وقد أوصى مخيريق:

إن أصبت - أى قتلت - فمالى لمحمد يصنع فيه ما يشاء.

فجعل الرحمة المهداة ﷺ أموال مخيريق بعد قتله وكانت سبعة بساتين أوقافا بالمدينة لله، **فكانت أول أوقاف المدينة.**

موقف اليهود بعد غزوة أحد:

تحركت كوامن الغدر والخيانة فى نفوس السفهاء من جديد بعد نكسة أحد وبعثت الأمل فى نفوسهم فشجع اليهود على استعادة نشاطهم المشبوه ضد الإسلام، فأخذوا يتحركون من جديد فاتصلوا بالمنافقين وصاروا مجتمعين يحبكون المؤامرات ويحيكون الدسائس ضد المسلمين وعلى الخصوص ضد الصادق المصدوق ﷺ، فأثبتوا مرة أخرى **أن العهود والمواثيق التى يبرمونها مع غيرهم إنما فى نظرهم مجرد حبر على ورق، يتمسكون بها عندما تكون فى صالحهم، وعندما يكونون فى حاجة إلى التمسك بها.**

فاجعة بئر معونة :

فى شهر صفر من السنة الثالثة للهجرة وبعد أربعة أشهر فقط من غزوة أحد نزلت بالمسلمين نكبة مروعة لا تقل فى آثارها الموجعة عن نكبة أحد، فقد جاء أحد سادات بنى عامر فى نجد وهو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد وقال :

- يا محمد : لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

فقال أبو القاسم ﷺ :

- إنى أخشى عليهم أهل نجد.

فقال أبو براء :

- أنا لهم جار.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين - كانوا يسمون القراء - فيهم : عامر بن فهيرة، الحارث بن الصمة، حرام ابن ملحان، عروة بن أسماء، نافع بن بديل بن ورقاء.. و..

و..فلما علم عامر بن الطفيل العامرى وهو شاب وفتى طائش أرعن استخف بعضا من قومه الأشرار وبعضا من القبائل الأخرى المجاورة : رعل وذكوان والقارة وعتبة فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم وهم فى جوار عمه فأبادهم عن بكرة أبيهم بعد أن قاوموا مقاومة باسلة وبينما كان الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى خارج **المدينة لقى رجلين من بنى عامر الذين غدروا بالقراء أصحاب رسول الله ﷺ فقتلهم وهو يظن أنه قد ثأر لأصحاب بئر معونة، ولم يعلم أن النبى ﷺ قد أعطاهما عهداً بالأمان.**

آثار نكبة بئر معونة :

اهتز المجتمع الإسلامى فى يثرب لهذه الفاجعة وتأثر نبى الرحمة ﷺ تأثرا عظيما، بينما سر المنافقون والسفهاء سرورا بالغا.

وكان من أثر هذا السرور أن نفخ الشيطان فى مناخر يهود بنى النضير ونشطت فى نفوسهم نوازع الشر والغدر، فتحركوا من جديد وعادوا إلى مؤامراتهم الخبيثة وفى هذه المرة توسعوا فى مخططاتهم مستغلين نكسة أحد ونكبة بئر معونة.

ولما علم رسول الله ﷺ ما فعله عمرو بن أمية الضمرى فقال له :

- لقد قتلت رجلين لأدينهما - أى فيهما الدية -.

لقد قرر نبى الوفاء ﷺ حسب أصول المعاهدات **أن يبعث بديتهما إلى أهليهما** فى ديار بنى عامر، **وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عهد وحلف.**

فخرج أبو القاسم ﷺ إلى بنى النضير **يستعينهم فى دية ذلك القتيلين** من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذى كان السراج المنير ﷺ أعطاهما.

ولما ذهب صاحب الشفاعة ﷺ إلى بنى النضير قالوا :

- نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه.

محاولة اغتيال النبى ﷺ :

كان السفهاء يتحينون الفرص ويتصيدون الأوقات المناسبة التى

تمكنهم من اغتيال خاتم النبيين ﷺ والتخلص منه شخصيا دونما اللجوء إلى شن حرب شاملة سافرة، لأنهم أجبن وأحقر من أن يخوضوا مثل هذه الحرب ضد المسلمين فى يثرب، لهذا فقد كان وصول حبيب الرحمن ﷺ إلى ديار هؤلاء السفهاء منفردا مع أبى بكر وعمر وعلى فرصة تسنح لهؤلاء اليهود المجرمين لقتل إمام الخير ﷺ، فشرعوا فورا فى اغتنام هذه الفرصة فى الحال لقتل إمام الخير ﷺ بشأن دية العامريين، لم يترددوا فى إعلان الاستجابة إلى طلبه **ولم يكن إعلان هذه الاستجابة إلا خدعة من هؤلاء السفهاء** أرادوا بها تطمين السراج المنير ﷺ **ليبقى فى ديارهم حتى يتمكنوا من اغتياله بعيدا عن المدينة،** وفعلا شرعوا لا فى جمع المال الذى وعدوا بتقديمه مساهمة فى دفع ديتى العامريين، وإنما فى تنفيذ المخطط الذى رسموه، فلما خلوا بعضهم إلى بعض قالوا :

- إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه.

كان خاتم النبيين ﷺ جالسا إلى جنب جدار من بيوت يهود بنى النضير فتساءل قتلة الأنبياء :

- فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه ؟

فانتدب عمرو بن جحاش بن كعب فقال :

- أنا لذلك.

فصعد عمرو بن جحاش ليلقى على سيد الأولين والآخرين ﷺ صخرة، فجاءه **الخبر من السماء بما أراد يهود بنى النضير فقام المعصوم ﷺ وخرج راجعا إلى المدينة.**

فلما أبطأ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ عن أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه :

- هل رأيت أبا القاسم ﷺ ؟

فقال الرجل :

- نعم رأيته داخلا المدينة.

فانطلق أبو بكر وعمر وعلى إلى المدينة، فلما انتهوا إلى الهادى البشير ﷺ أخبرهم إمام الخير ﷺ بمحاولة يهود بنى النضير للغدر به.

وبعث صاحب لواء الحمد ﷺ الصحابى الجليل محمد بن مسلمة يأمر يهود بنى النضير بالخروج من جوار رسول الله ﷺ وبلده.

فبعث إلى سفهاء بنى النضير أهل النفاق يثبتوهم ويحرضوهم على المقام، ويعدونهم فقويت نفوس يهود بنى النضير وبعثوا إلى نور الظلمة ﷺ أنهم لن يخرجوا ونابذوه بنقض العهود.

فأمر إمام المجاهدين ﷺ أصحابه بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، فتحصن سفهاء بنى النضير فى حصونهم، فحاصرهم صاحب الشفاعة ﷺ خمس عشرة ليلة.

وكان منافقو بنى عوف قد بعثوا إلى يهود بنى النضير :

- أن اثبتوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم.

فتربص سفهاء بنى النضير ذلك من نصر منافقى بنى عوف. فلم يفعلوا.

فأنزل السميع البصير **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}** [سورة الحشر الآية: ١١].

وبعد مرور عشرين يوما فقط على محاصرتهم شرعوا فى مفاوضة الرحمة المهداة ﷺ للتسليم، وقد انتهت المفاوضات بالاتفاق على أن يجلوا سفهاء بنى النضير عن يثرب جلاء تاما حمله أن يحملوا من أموالهم ما يقدرون على حمله ماعدا السلاح.. فتم إجلاء هؤلاء السفهاء إلى خيبر والقليل منهم إلى الشام.

وبجلاء يهود بنى النضير عن المدينة لم يبق فى منطقة يثرب من اليهود سوى قبيلة **واحدة هى قبيلة بنى قريظة ويبلغ عددهم رجالا ونساء حوالى ألفين.**

وقيل :

كان يهود بنى النضير من أكثر أهل المدينة ثراء، فقد أوقروا ستمائة بعير من الأموال التى قدروا على حملها وكانوا يتخيرون ما خف حمله وغلا ثمنه، فحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى إن سلام بن أبى الحقيق وحده حمل معه جلد ثور مما وعا ذهبا وفضة، وكان عند خروجه من المدينة يضرب بيده على هذا الجلد المملوء بالذهب والفضة ويقول للمسلمين :

- هذا الذى أعددناه لرفع الأرض وخفضها، وإن كنا تركنا نخلا، ففى خيبر النخل.

وكان يهود بنى النضير عند مغادرتهم المدينة يعمدون إلى سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها فينقضونها لئلا يستفيد منه المسلمون**{يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ}** [سورة الحشر الآية : ٢].

وقد أظهر يهود بنى النضير التجلد عند جلائهم فخرجوا من المدينة فى شبه مظاهرة حيث غادروها فى طوابير قد أركبوا النساء الهوادج فى أبهى زينة، عليهن الديباج والحرير وقطف الخز الأخضر والأحمر وحلى الذهب والفضة، تصحبهم فرق الموسيقى من القيان يضربن بالدفوف ويعزفن بالمزامير.

مركز التآمر فى خيبر:

رحب يهود خيبر بيهود بنى النضير وكان من زعماء بنى النضير الذين نزلوا مع قومهم فى خيبر حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع الذين يمتازون بالدهاء والمكر والحقد العارم على حبيب الرحمن ﷺ خاصة.

ولم يتعظ اليهود بما أصابهم فى المدينة وما حل بهم نتيجة غدرهم وخيانتهم وتآمرهم فلم تمض أيام معدودات على نزولهم خيبر حتى شرعوا بالاتفاق مع زعماء خيبر فى إعداد خطط التآمر الجديدة الموجهة ضد إمام الأنبياء ﷺ.

اليهود وغزوة الأحزاب :

لم يستطع أشراف بنى النضير وساداتهم أن ينسوا يوما أن محمدا ﷺ

أخرجهم من ديارهم، ففكروا فى أن يخرجوا إلى قريش وإلى قبائل العرب ليحزبوهم على أبى القاسم ﷺ ويزينوا لهم قتال المسلمين واستئصال شأفتهم قبل أن تشتد سواعدهم ويضعوا أيديهم على بلاد العرب جميعا.

فانطلق نفر من أشرافهم ووجوههم منهم : سلام بن أبى الحقيق، حيى بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، هوذة بن قيس الوائلى، وأبو عمار االوائلى فى نفر من بنى النضير وفى دار الندوة دارت المفاوضات، ودعا أشراف بنى النضير سادات قريش إلى حرب محمد ﷺ وقالوا :

- إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.

عداوة بدت من أفواههم وما تُخفى صدورهم أكبر، دعوة محببة إلى قلوب أعداء خاتم الأنبياء ﷺ من وجوه قريش وأشرافها، ولكن ذلك الدين الذى جاء به سيد ولد آدم ﷺ كان يشغل عقول القوم فلم يلبوا الدعوة إلى الحرب دون نقاش بل قالوا :

- يـــا معشـــر يهـــود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أو دينه ؟

كان أشراف اليهود ووجوههم يرون ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة وكانوا يعلمون أن جوف أول بيت وضع للناس قد دست فيه تماثيل كل شعوب الأرض وصار مخزنا للشرك بعد أن كان منارة للتوحيد، وعلى الرغم من كل ذلك قال أهل الكتاب الأول والعلم دون خجل :

- بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.

يا للسخرية، أصحاب الكتاب الأول وحملة رسالة التوحيد يزعمون أن الوثنية **خير من دعوة تدعو إلى عبادة الواحد الأحد ؟.**

إنها ضلالة تستحق اللعن وقد لعنهم الله من فوق سبع سموات**{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن**

فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} [سورة النساء الآية : ٥١- ٥٥].

وسر قريش قول اليهود ودب النشاط فيهم وراحوا يتأهبون للحرب.

وخرج كنانة بن أبى الحقيق يسعى فى بنى غطفان ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف تمر خيبر وأعلمهم أن قريشا قد بايعوهم على ذلك، فأجابه عيينة ابن حصن الفزارى وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل إليهم طليحة بن خويلد الأسدى فيمن أطاعه.

ونجح سفهاء بنى النضير فى إنشاء اتحاد من الأحزاب ضد المسلمين.

وخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب وقد جمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب، وجاءهم من أجابهم من بنى سليم، وخرجت بنو مرة وأشجع، وخرجت **غطفان وفزارة وكانت الأحزاب عشرة آلاف وهم ثلاثة عساكر وملاك أمرها لأبى سفيان.**

خطة الدفاع عن المدينة :

لما علم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أمر الأحزاب حفر مع أصحابه خندقا عميقا واسعاً على طول الجهة المفتوحة من المدينة.

وراح المنافقون يحاولون أن يثبطوا الناس عن خاتم النبيين ﷺ وجعلوا يقولون لإخوانهم الأنصار :

- ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس - أى هم قليل يشبعهم رأس واحد - ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل - يعنون رسول الله ﷺ - فإنه هالك.

وأرسل اليهود إلى المنافقين وقالوا :

- ما الذى حملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه ؟ فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لن يتركوا منكم أحدا، وإنا لنشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا هلم إلينا.

وأقبل رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه وقالوا :

- ما ترجون من محمد ؟ فو الله ما يرقدنا - يعيينا - بخير وما عنده خير، ما

هو إلا أن يقتلنا ههنا، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا - يعنى اليهود -.

وطفق رأس المنافقين وأصحابه يزينون الانطلاق إلى اليهود والدخول معهم فى حصونهم وترك رسول الله ﷺ وأصحابه للأحزاب ليلقوا مصيرهم المحتوم، فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا.

وأقبلت قريش ومن معها من الأحزاب تحدوهم الآمال العريضة فلما رأوا الخندق أربدت وجوههم وانقبضت أفئدتهم وانهارت قصور الأمانى التى بنوها فى الهواء وقالوا فى غيظ:

- والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وكان أكثر الأحزاب غيظا حيى بن أخطب فهو الذى خرج بالموتورين من بنى النضير ليحرض قريشا وغطفان وقبائل العرب على قتال خاتم النبيين ﷺ.

أتذهب كل الجهود التى بذلها هباء ؟ وهذه الجيوش التى أغراها بدهائه ودهاء اليهود على أن تتحرك للانتقام أتعود من حيث جاءت دون أن تثأر من عدوه وعدوهم؟

إن فى المدينة يهوداً قد عاهدوا محمداً ﷺ على أن يقوموا بالدفاع معه عن مدينتهم، فلو أمكنه أن يغريهم على نقض عهدهم فإن تحصين المدينة كله سينهار وسيصبح القضاء على المسلمين ونبى الإسلام أمرا لا مفر منه.

إنه قادر على أن يغرى بنى قريظة على نقض عهدهم، سيقنعهم أن نبى الإسلام صياد اليهود فإن كان سيستعين بهم اليوم فلن يكون مصيرهم إلا كمصير بنى قينقاع وبنى النضير غدا، سيطردهم من جواره شر طردة.

واستراح حيى بن أخطب إلى أفكاره بعض الشىء فقد عاوده الأمل بعد أن كاد أن يقبر فى ذلك الخندق الذى ضربه المسلمون حول المدينة.

وراحت الأيام تمر والأحزاب فى غيظ شديد فالخندق يحول بينهم وبين المسلمين.

شيطان خيبر فى حصون بنى قريظة :

كان حيى بن أخطب سيد بنى النضير يقول لأبى سفيان بن حرب أثناء مسيرة معه :

- إن قومى بنى قريظة معكم وهم أهل حلقة - سلاح - وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً.

فلما رأى الأحزاب الخندق وتيقنوا أنهم لن ينالوا من محمد ﷺ والذين معه إلا إذا خان وغدر يهود بنى قريظة العهد الذى كان بينهم وبين المسلمين وطعنوا خاتم النبيين ﷺ وأصحابه من الخلف فيسروا دخول الأحزاب المدينة فيقضوا على الإسلام قضاء مبرما.

فقال أبو سفيان لحيى بن أخطب :

- ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد.

فانطلق شيطان خيبر إلى بنى قريظة ليدعوهم إلى اغتنام فرصة وجود الأحزاب وحسن لهم الغدر بالمسلمين والمشاركة مع جيوش الأحزاب فى استئصال شأفة المسلمين، هذا الاستئصال ما كان شيطان خيبر الحاقد يشك لحظة فى نجاح عمليته.

أتى حيى بن أخطب **كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم** فدق عليه باب حصنه فأبى أن يفتح له، وألح شيطان خيبر عليه فى ذلك فقال له كعب :

- ويحك يا حيى إنك امرؤ مشئوم، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه، **ولم أر فيه إلا وفاء وصدقا.**

فقال حيى بى أخطب :

- ويحك افتح لى أكلمك

قال كعب بن أسد القرظى :

- ما أنا بفاعل

فغاظه شيطان خيبر وقال له :

- والله ما أغلقت بابك دونى إلا تخوفا على جشيشتك - الجشيش : الدشيش - أن أكل معك منها.

ففتح كعب لحيى بن أخطب فقال :

- ويحك يا كعب، جئت بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال، وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد - جبل - وقد عاهدونى

وعاقدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه.

فقال كعب بن أسد القرظى :

- جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى، فإنى لم أر فى محمد إلا صدقا ووفاء، ويحك يا حيى دعنى وما أنا عليه.

فلم يزل شيطان خيبر بكعب بن أسد القرظى حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه ويصيبه ما أصابه.

كان ما عرضه حيى بن أخطب على كعب بن أسد القرظى جد خطير : **وإنه نقض لعهد رجل يزن الأمور بميزان العدل لا يميل مع الهوى،** بل سبيله الحق ودرء كل خطرعن الدين الذى يدعو إليه، فإن أخفق تدبر حيى بن أخطب وكعب بن أسد **فسيدفع يهود بنى قريظة أفدح ثمن يدفعه ناقضو العهود وخائنو دولة.**

وإن نجح تدبيرهما فستتحقق أمنية السفهاء : أن يقتل الرجل الذى اعترف بالسيد المسيح عليه السلام، وبالحمل الطاهر فسفه بذلك أحلام آبائهم الذين آبوا أن يقروا أن عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول.

دعا كعب بن أسد القرظى زعماء بنى قريظة : الزبير بن باطا، عزال بن ميمون، شاس بن قيس، عقبة بن زيد، عمرو بن سعدى.

وأحضر الصحيفة التى تتضمن نص العهد المعقود بين إمام الخير ﷺ ويهود بنى **قريظة وطلب منهم الموافقة على تمزيقها إيذانا بنقض العهد والانضمام إلى الأحزاب.**

فوافق الجميع إلا **عمرو بن سعدى** فقال :

- والله لا أغدر بمحمد أبدا.

وساند الزعيم القرظى ثعلبة وأسيد ابنا سعية، أسد بن عبيد وأما كعب بن أسد القرظى فقد تغلب طيشه وحلمه فمزق الصحيفة التى تتضمن نص العقد الذى بينه وبين المسلمين.

وبينما كان حبيب الرحمن ﷺ وأصحابه فى ضيق وخوف**{وَإِذْ زَاغَتْ**

الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} [سورة الأحزاب الآية : ١٠].

جاءهم نبأ بنى قريظة ونقضهم العهد وأنهم حاربوا مع الأحزاب فاشتد الأمر على رسول الله ﷺ، **فنقض العهد يجعل المدينة كلها بمن فيها لقمة سائغة للأحزاب.**

وبعث أبو القاسم ﷺ الصحابيين الجليلين سعد بن معاذ سيد الأوس وحليف بنى قريظة وسعد بن عبادة سيد الخزرج وهما قطبا الأنصار ومعهما الصحابيان الجليلان أسيد بن حضير وعبد الله بن رواحة وقال لهم :

- انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقا فألحنوا إلى لحناً أعرفه دون القوم - المسلمين - وإلا فاجهروا بذلك بين الناس.

كان طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ يريد من أصحابه أن يوروا ويكنوا فى كلامهم بما لا يفهمه المسلمين إذا كان بنو قريظة قد غدروا لكيلا يدب الوهن والضعف فى قلوب المسلمين ولا تتضعضع روحهم المعنوية.

فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد وقالوا فى استخفاف :

- من رسول الله ؟

وتبرءوا من عهده وقالوا فى جرأة ووقاحة :

- لا عهد بيننا وبين محمد.

فشتمهم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه وأغلظ لهم القول سعد بن عبادة وكانت فيه حدة وشاتموه، فقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة :

- دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة.

ولما علم صاحب الخلق العظيم ﷺ الخبر قال :

- الله أكبر، أبشروا يا معاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه.

وتقنع المبعوث للناس كافة ﷺ بثوبه واضطجع ومكث طويلا، فاشتد على المسلمين البلاء والخوف حين رأوه ﷺ اضطجع ثم رفع رأسه فقال :

- أبشروا بفتح الله ونصره.

وانتشر الخبر بين المسلمين أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت مع الأحزاب فعظم البلاء عليهم والتفوا حول نبى الرحمة ﷺ يلتمسون منه العون عليه الصلاة والسلام فقال:

- حسبنا الله ونعم الوكيل.

وجاءت قريش والأحزاب من فوق المسلمين، وتحركت بنو قريظة من أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن، وتقدم رماة الأحزاب يرمون المسلمين بالنبل وظهر النفاق من المنافقين فقال بعضهم :

- كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط،**{مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا}** [سورة الأحزاب الآية : ١٢].

ولم تكتف فئات المنافقين بالإرجاف والسخرية من الإسلام وبث روح الانهزام بين صفوف جيش المسلمين بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أخذوا فى الانسحاب والتحريض على الانسحاب من الجيش فى ذلك الظرف الدقيق الذى يمر به الكيان الإسلامى كله هادفين من وراء ذلك كله مساندة الأحزاب وتسهيل مهمتهم بطريق غير مباشر**{وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا}** [سورة الأحزاب الآية: ١٣].

وهكذا ازدادت حالة المسلمين دقة وازداد موقفهم تحرجا.

وحاول المبعوث رحمة للعالمين ﷺ فى هذه الظروف الخانقة التى بلغت فيها الخطورة والاختناق بالجيش الإسلامى الذروة أن يخفف الضغط الخانق الذى يتعرض له جيشه **الصغير والذى ينتظر أن يتعرض لمزيد من الأخطار المزلزلة إذا ما وفت بنو قريظة الخائنة بوعدها للأحزاب وشنت قواتها الهجوم من الخلف على الجيش الإسلامى الذى أصبح بين فكى كماشة أو كحبة بين فكى رحى.**

بعث الرسول القائد ﷺ إلى قائدى غطفان سرا وهما عيينة بن حصن

الفزارى **والحارث بن عوف المرى وعرض عليهما أن ينسحبا بجيوشهما ويعودا إلى بلادهما على أن يدفع المسلمون لهما مقابل ذلك ثلث ثمار المدينة كلها من مختلف الأنواع لسنة واحدة. ووافق عيينة والحارث على هذا العرض وتم مبدئيا الاتفاق على عقد الصلح** ولم يبق لإنفاذه إلا توقيع الطرفين وإشهاد الشهود، وأراد السراج المنير ﷺ استشارة الأنصار فبعث إلى زعيم الأوس سعد بن معاذ وزعيم الخزرج سعد بن عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا :

- يا رسول الله، أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- لو أمر الله لما شاورتكما والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم إلى أمر ما.

فرفضا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وقالا :

- والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فعاد قادة غطفان من معسكر المسلمين وقد أدركوا حقيقة كانوا يجهلونها كل الجهل وهى أن الذى يصنع الانتصارات الحقيقية ويبعث الأمن والطمأنينة فى النفوس ساعة الشدة والروع ليس كثرة الجيوش وقوتها وإنما الذى يصنع كل ذلك هو قوة العقيدة وزخم الإيمان بالقوى العزيز.

وظلت الصفوة المختارة من صحابة رسول الله ﷺ الأبرار بجانب إمام الخير القائد العظيم ﷺ صامدة ثابتة فى تلك الليالى الحاسمات المثقلات بالمحن والكروب فى انتظار ما ستتمخض عنه هذه الليالى من أحداث خطيرة مقلقة لا يعلم مداها إلا العليم الخبير **وخاصة ما يتوقعه المسلمون من هجوم تقوم به بنو قريظة الغادرة على الجيش الإسلامى** من الخلف.

نقطة التحول فى المعركة عسكريا :

اتفق قادة الأحزاب على أن يكون لكل واحد منهم يوم، يقود فيه

عمليات الاستفزاز والمناوشة على مشارف الخندق، فصار خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبى جهل، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبى هبيرة، ونوفل بن عبد الله كل واحد من هؤلاء القادة يقوم بهذه العمليات لمدة يوم وليلة دونما انقطاع.

وظل الحال هكذا ترام بالنبل وجولان بالخيل للإرهاب من جانب قريش ودوريات مستمرة منتظمة تطوف بالخندق من الجانبين ثم قام فريق من فرسان الأحزاب باقتحام الخندق بخيلهم من ناحية ضيقة منه فنقلوا المعركة جزئيا إلى معسكر المسلمين وراء الخندق.

واقتحم عمرو بن عبد ود العامرى الخندق وكان من أشهر فرسان العرب أصيب يوم بدر بجراحات ثم ولى الأدبار ولم يشترك يوم أحد - لأنه كان لا يزال جريحا - فنذر أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمدا وقد جاء مع الأحزاب ليمحو عار فراره وليعلن للملأ أنه لا يزال الفارس الذى لا يشق له غار وطلب المبارزة، فلم يخرج إليه أحد، ولما كرر عمرو النداء وقال :

- من يبارز.

خرج إليه على بن أبى طالب فقتله فكبر المسلمون وقال إمام الخير ﷺ:

- لمبارزة على لعمرو بن عبد ود أفضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة (رواه الحاكم فى المستدرك).

فقد كانت أشجع ضربة فى الإسلام.

هجوم اليهود على النساء:

نفذ اليهود ما طلب الأحزاب منهم فقاموا بالإغارة على الحصون والآطام التى وضع المسلمون فيها نساءهم وأطفالهم وكانت هذه الحصون قريبة من مواقع الجيش الإسلامى وراء الخندق، ولم يكن حصن أحصن من حصن بنى حارثة فجعل النبى ﷺ النساء والذرارى والصبيان فيه، وحاول أحد اليهود أن يطيف بالحصن فقامت إليه صفية بنت عبد المطلب بعمود وضربته فقتلته، ولما فرغت منه قالت لحسان بن ثابت - شاعر رسول الله ﷺ -:

- يا حسان انزل إليه فاسلبه، فإنه لا يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل.

قال حسان بن ثابت :

- مالى بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب.

فقطعت صفية بنت عبد المطلب رأس اليهودى وألقت به على اليهود الذين كانوا حول الحصن فراعهم ذلك وانسحبوا مذعورين وهم يظنون أن هناك حرسا من الجيش الإسلامى يحمون النساء وقال هؤلاء السفهاء بعضهم لبعض :

- قد علمنا أن لم يك - أى النبى ﷺ - يترك أهله خلوفا ليس معهم أحد.

ثم تفرقوا.

وهكذا أقلق اليهود المسلمين بتحريشهم بالنساء والذرارى - مما اضطر المسلمون إلى أن يضاعفوا من قوات الحراسة لحماية نسائهم وأطفالهم من اليهود - مما أنقص عدد قواتهم الرئيسية المرابطة على مشارف الخندق لمواجهة الأحزاب.

وشعر المشركون بالنقص الملموس فى قوات المسلمين المواجهة لهم على الخندق، فاغتنموا الفرصة وأطبقوا عليهم من ناحية وأشغلوهم إلى درجة الإرهاق والإعياء، فلم يتركوا لهم فرصة يستريحون فيها أو حتى يؤدون فريضة الصلاة إذ أجبروهم على المرابطة ليلا ونهارا على مشارف الخندق فى حالة تامة لا يفارقهم السلاح.

وبعد حوالى اثنتين وعشرين ليلة من الحصار الخانق الشديد بلغت حالة المسلمين المحصورين من الخطورة إلى درجة ليس بعدها إلا الانهيار، كانت ليالى الخندق الرهيبة مختبرا صهر السميع البصير فى بوتقة محنها وبلاياها أمة محمد ﷺ مرة أخرى ليعلم - وهو أعلم بعباده - الصادق من الكاذب ويميز الخبيث من الطيب، فلم يثبت مع إمام المجاهدين ﷺ فى خضم تلك البلايا المتلاحقة التى تأخذ بعضها برقاب بعض إلا ذو الإيمان الراسخ رسوخ الجبال فلم يبق حول خاتم النبيين ﷺ إلا حوالى ثلاثمائة مقاتل فقط، وماذا يفعل ثلاثمائة رجل - ينقصهم كل شىء مادى إلا الإيمان - أمام عشرة آلاف مقاتل لا ينقصهم شىء مادى ؟

التحول الخطير فى الموقف:

كان رسول الله ﷺ يدعو:

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب.

اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم.

ثم قام يصلى.. وإذا برجل جاء مع الأحزاب شرح العزيز الحكيم صدره للإسلام فى تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ الإسلام فسخر مواهب هذا الرجل الألمعى فى الذكاء والدهاء ليغير مجرى الأحداث الخطيرة ويقلب موازين القوى لصالح الفئة القليلة المؤمنة الصابرة الثابتة فى مهب العاصفة.. وتحدث المعجزة.

دخل **نُعيم بن مسعود** وهو من قبيلة غطفان النجدية التى يمثل رجالها أكبر أجنحة الاتحاد القرشى الغطفانى اليهودى العسكرى الذى جاء لاحتلال المدينة وسحق الإسلام فيها وكان نعيم بن مسعود من وجوه القوم والشخصيات المشهورة فى المحيط العربى واليهودى، وكان من كبار المستشارين فى قيادة الأحزاب.

ولحكمة أرادها الله ﷻ أو استجابة لدعاء حبيبه ﷺ تسلل نعيم بن مسعود تحت جناح الظلام من معسكر الأحزاب وقد شرح الله قلبه للإسلام فوجد خاتم النبيين ﷺ يصلى، فلما فرغ من صلاته قال له :

- ما جاء بك يا نعيم ؟

قال نعيم بن مسعود الأشجعى :

- جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق.

وصمت نعيم بن مسعود قليلا ثم قال :

- يا رسول الله إنى قد أسلمت وأن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت.

قال نبى الرحمة ﷺ:

- إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

داهية الخندق عند بنى قريظة :

كان نعيم بن مسعود الأشجعى نديما لبنى قريظة فى الجاهلية، صديقا لهم وهو الذى تحدث فى الجاهلية فى حانة من حانات اليهود فى المدينة - قبل تحريم الخمر - وهو سكران عن قافلة لكفار مكة سلكت طريق العراق

إلى الشام وكان فى الحانة أحد الصحابة فسارع بنقل الخبر إلى النبى ﷺ فأرسل سرية بقيادة زيد بن حارثة فنجح زيد فى الاستيلاء عليها.

مشى نعيم بن مسعود إلى بنى قريظة وهم لا يعلمون بإسلامه فقال لهم:

- يا بنى قريظة : قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم.

قالوا :

- صدقت، لست عندنا بمتهم.

قال نعيم بن مسعود :

- إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تجلوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة - فرصة - أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل - يعنى رسول الله ﷺ - ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم **حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه.**

قال يهود بنى قريظة :

- لقد أشرت علينا بالرأى.

وانتاب الخوف والفزع يهود بنى قريظة الغادرة وبدأت تشعر بالحاجة الماسة إلى ضمانات تحميها من أن ينزل بها عقاب الخيانة الصارم الذى بدأ شبحه المخيف يقلق بالها وشكر يهود بنى قريظة لنعيم بن مسعود مسعاه وقالوا :

- لن نقاتل معهم حتى نأخذ منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيدينا ثقة لنا.

نعيم بن مسعود وأبو سفيان بن حرب :

خرج نعيم بن مسعود حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه :

- قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا، وإنه بلغنى أمر قد رأيت منه على حقا أن أبغلكموه نُصْحًا لكم فاكتموا عنى.

قالوا :

- نفعل، فما هو ؟

قال داهية الخندق :

تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه :

- إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين - قريش وغطفان - رجالا من أشرافهم ونعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى حتى تستأصلهم ؟

فأرسل إليهم :

- نعم

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

نعيم بن مسعود فى معسكر غطفان :

بعد أن ترك نعيم بن مسعود نفوس وأفكار القرشيين نهبا لنوازع الشك والريبة والحقد والغضب على حلفائهم السفهاء بنى قريظة، انطلق إلى قومه غطفان فى معسكرهم فاجتمع بعيينة بن حصن الفزارى وطليحة بن خويلد الأسدى والحارث بن عوف المرى وقال لهم :

- يا معشر غطفان إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمونى

قالوا :

- صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال داهية الخندق :

- فاكتموا على.

قالوا :

- نفعل.

ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم من أن يجيبوا يهود

بنى قريظة إلى ما طلبوا من تسليم الرهائن.

فشكروا له صنيعه **وأكدوا له أنهم لن يسلموا لبنى قريظة رهينة ولا رجلا واحدا.**

فهل نجح نعيم بن مسعود الأشجعى فى نسف التحالف الوثنى اليهودى ؟

وفد الأحزاب إلى بنى قريظة :

لما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب رؤوس غطفان وعكرمة بن أبى جهل إلى بنى قريظة فقالوا لهم :

- إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر - الإبل والشاء - فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم :

- إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم - طحنتكم - الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان :

- والله الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق.

فأرسلوا إلى بنى قريظة :

- إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا :

- إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل.

فأرسلوا إلى قريش وغطفان :

- إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا.

فأبوا عليهم.

وقال أبو سفيان بن حرب.

- ألا أرانى أستعين بإخوة القردة والخنازير.

نعيم بن مسعود فى بنى قريظة : ثانية :

جاء داهية الخندق إلى يهود بنى قريظة وقال لهم :

- كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال :

- لو طلبوا منى عناقا - العناق : الأنثى من ولد المعز - ما دفعتها لهم.

فقالوا :

- والله لن نقاتل معهم حتى يعطونا سبعين رجلا منهم.

شيطان بنى النضير يحاول رأب الصدع:

حاول رأس الفتنة حيى بن أخطب إنقاذ الموقف المتدهور بين الأحزاب وبنى قريظة، فذهب إلى سفهاء بنى قريظة محاولا إقناعهم بالاشتراك فى الهجوم مع الأحزاب على المسلمين ولكن محاولته باءت بالفشل فقد أصر بنو قريظة على موقفهم المتشدد وقالوا لشيطان بنى النضير :

- والله لا نقاتل معهم حتى يدفعوا إلينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا **فاستحكمت حلقات الأزمة بين السفهاء وقيادة الأحزاب وأصبح التوفيق بينهم مستحيلاً فقد نجح داهية الخندق ومخذل الأحزاب فى نسف التحالف الوثنى اليهودى.. وتنفس المسلمون الصعداء.**

يهود بنى قريظة يفاوضون النبى ﷺ فى الصلح:

لما تفاقم الخلاف بين الأحزاب وبين يهود بنى قريظة ورفضت قيادة الأحزاب إعطاء اليهود الرهائن الذين طلبوا، اتصل يهود بنى قريظة بسيد الأولين والآخرين ﷺ يطلبون الصلح على أن يسمح النبى الخاتم ﷺ بعودة إخوانهم بنى النضير إلى المدينة، ولكن الصادق المصدوق ﷺ رفض هذا الطلب.

وعلى كل حال فإن الشقاق قد حصل بين الأحزاب وحلفائهم الجدد يهود بنى قريظة، وظن بعضهم ببعض سوءا، **وبلغ الخلاف والتنافر بين**

الفريقين - الأحزاب واليهود - إلى درجة أصبح الحلف العسكرى المعقود بينهما فى حكم المنتهى، وراح كل منهما يلقى باللوم ويحمل الآخر مسئولية انفصام عرى هذا الحلف.

انهيار الاتحاد الوثنى اليهودى:

عندما وصل الخلاف والتنافر إلى هذه الدرجة، فكرت القيادة المشتركة للأحزاب فى إنهاء الحصار المضروب على مدينة رسول الله ﷺ، والرجوع بجيوشها إلى بلادها وترك اليهود وشأنهم ليلقوا مصيرهم الذى لا يعلمه إلا علام الغيوب، لاسيما وأن التذمر والاستياء أخذ يظهر فى معسكر الأحزاب الذى ظل جنوده وهم أكثر من عشرة آلاف معوقين مجمدين أمام الخندق لا يستطيعون القيام بأى عمل حاسم ضد المسلمين وهذا مما بعث السأم والضيق فى نفوس هؤلاء الجنود الذين لم يألفوا طيلة حياتهم فى الحروب التجمد والمرابطة أمام المدن، **وإنما ألفوا الحروب الخاطفة والغارات السريعة التى لا تستغرق عملية القيام بها سوى يوم أو بعض يوم،** يضاف إلى هذا أنه فى الوقت الذى كانت المدينة على وشك السقوط فى قبضة الأحزاب واليهود دب الخلاف بينهما **وهبت على المنطقة التى يعسكر فيها الأحزاب رياح هوج كانت لقوتها تقتلع الخيام** وتهدم الأبنية وتكفأ القدور ولا تترك ناراً تشتعل ويصور القرآن العظيم هذا**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}** [سورة الأحزاب الآية : ٩- ١٠].

أبو سفيان يأمر بانسحاب الأحزاب:

أزعج الأحزاب هذا الوضع إلى درجة جعلت معها القائد العام أبو سفيان بن حرب بعد أن تشاور مع بقية القيادة المشتركة إلى إصدار الأوامر إلى جنود الأحزاب بالانسحاب ويعود كل منهم إلى دياره.

وعندما عزم الأحزاب على الانسحاب وإنهاء الحصار قرر أبو سفيان بن حرب أن يكون الانسحاب منظما وأن يكون فى حماية قوات مسلحة

منظمة تتولى الإشراف عليه، فأمر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص أن يتوليا الإشراف على تنظيم هذا الانسحاب، ويقوما بحماية مؤخرة جيش الأحزاب حتى لايقوم المسلمون بضربها ساعة الانسحاب.

ونصر القوى العزيز حبيبه ﷺ، ورحل الأحزاب إلى بلادهم يجرون ذيول الخيبة**{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا}** [سورة الأحزاب : ٢٥].

تصفية الحساب بأمر السماء:

عاد إمام المجاهدين ﷺ إلى مدينته من الخندق وقت الظهر فصلى بالناس، ثم دخل بيت أم المؤمنين عائشة ودعا بماء فاغتسل، ودعا بالمجمرة ليتبخر وبينما هو يستريح وقد وضع السلاح إذ نادى مناد :

- عذيرك من محارب - أى من يعذرك -؟

فارتاع لذلك حبيب الرحمن ﷺ، ووثب وثبة منكرة، وخرج فخرجت فى أثره أم المؤمنين عائشة، إذ رجل على دابة وخاتم الأنبياء ﷺ يكلمه وهو متكئ على معرفة الفرس.

تقول عائشة :

فرجعت.

فلما دخل النبى ﷺ قلت :

- من ذلك الرجل الذى تكلمه ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- بمن تشبهينه ؟

قلت :

- بدحية الكلبى.

قال ﷺ :

- ذاك - بكسر الكاف - جبريل - عليه السلام - أمرنى أن أمضى إلى بنى قريظة.

وقيل :

لما أصبح رسول الله ﷺ انصرف من الخندق راجعا إلى المدينة

والمسلمون قد وضعوا السلاح، فلما كانت الظهيرة أتى جبريل عليه السلام السراج المنير ﷺ معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحاله، عليها قطيفة من ديباج فقال :

- أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟

قال المصطفى ﷺ :

- نعم.

قال جبريل عليه السلام :

- ما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزلهم.

وقيل :

إن الرحمة المهداة ﷺ طلب التأجيل أياما، ليأخذ فيها جنده المتعب قسطا من الراحة فقال لجبريل :

- إن فى أصحابى جهدا فلو نظرتهم أياما.

فقال جبريل عليه السلام :

- انهض إليهم فو الله لأدقنهم كدق البيض على الصفا - الحجر الأملس - ولأدخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم ثم لأضعضعنها.

وأمام هذا الأمر العاجل بالزحف على حصون بنى قريظة لم يسع المبعوث للناس كافة ﷺ أن يسارع بتنفيذ أمر ربه الذى تلقاه من جبريل عليه السلام.

أصدر القائد الأعلى صاحب لواء الحمد ﷺ أوامره الحازمة العاجلة إلى جند الإسلام بالتحرك فورا نحو منازل يهود بنى قريظة لتصفية الحساب معهم.

وأمر سيد الأولين والآخرين ﷺ بلال بن رباح أن يؤذن فى الناس :

- من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة.

وبعث مناديا ينادى

- يا خيل الله - يا فرسان - اركبى.

فتجمع المسلمون فى عدد القتال، وخرج إمام الخير ﷺ وقد لبس الدرع

والمغفر والبيضة وأخذ قناة وتقلد السيف وركب فرسه اللجيف فالتف الناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا، وكان اللواء على حاله من مرجعه ﷺ فدفعه إلى على بن أبى طالب فاندفع أبو الحسن فى زقاق بنى غنم من بنى النجار فإذا الغبار يتصاعد حتى حجب الرؤيا.

كانت غزوة بنى قريظة فى حد ذاتها امتداداً لغزوة الخندق، فقد كان سفهاء بنى قريظة يمثلون الجناح الثالث للاتحاد العسكرى الوثنى اليهودى الذى قام لسحق المسلمين وإبادتهم إبادة كاملة.

فبنو قريظة بالإضافة إلى ارتكابهم جريمة الخيانة العظمى يعتبرون غزاة محاربين بانضمامهم إلى جيوش الأحزاب الغازية وإعلانهم بأنهم جزء لا يتجزأ منهم ضد المسلمين، ومباشرتهم بالفعل التحرك لطعنهم وضربهم من الخلف مساندة للأحزاب وقيامهم بمد هؤلاء الأحزاب بالتموينات فسجلوا بصنيعهم ذاك أخس وأشنع جريمة فى تاريخ الخيانة والغدر مع أن هؤلاء السفهاء لم يروا من نبى الوفاء ﷺ وصحبه منذ تم التحالف بين الفريقين إلا الصدق والبر والوفاء، ولكنه الغدر السابح فى دماء هؤلاء السفهاء الذين هم أئمته وأساتذته فى كل عصر وزمان.

يهود بنى قريظة يسبون صاحب الخلق العظيم ﷺ:

كان سفهاء بنى قريظة يتوقعون حسابا عسيرا من الجيش الإسلامى، حسابا يتناسب وفظاعة الجريمة التى ارتكبها هؤلاء اليهود، ولذلك فمنذ أن رحل الأحزاب لجأ يهود بنى قريظة الغادرون إلى حصونهم وهم يرتجفون فزعا من المصير المرعب الذى ينتظرهم على أيدى المسلمين جزاء غدرهم وخيانتهم فبدلا من أن يفى هؤلاء السفهاء بالتزاماتهم العسكرية نحو المسلمين فينضموا بأسلحتهم ضد جيوش الأحزاب الغازية الباغية، كما تفرض عليهم إتفاقية الدفاع المشترك المعقودة بينهم وبين المسلمين، **استداروا بأسلحتهم وحاولوا طعن المسلمين بغية التعجيل بالقضاء عليهم.**

لما دنا على بن أبى طالب من حصن بنى قريظة ومعه نفر من

المهاجرين والأنصار غرز اللواء عند أصل الحصن فسمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حق رسول الله ﷺ وحق أزواجه.

فقال المسلمون :

- السيف بيننا وبينكم.

وكره أبو الحسن أن يسمع حبيب الرحمن ﷺ من بنى قريظة ما يسيئه.

فلما رأى على الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مقبلا أمر أبا قتادة الأنصارى أن يلزم اللواء ورجع أبو الحسن إلى أبى القاسم ﷺ وقال :

- يا رسول الله : لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث.

فتساءل الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ :

- لعلك سمعت منهم لى أذى ؟

قال على بن أبى طالب :

- نعم يا رسول الله.

قال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

- لو رأونى لم يقولوا من ذلك شىء.

فلما دنا سيد الأولين والآخرين ﷺ من حصونهم قال :

- يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ أتشتمونى ؟

فجعلوا يحلفون ويقولون :

- ما قلنا.

- يا أبا القاسم ما كنت جهولا.

وتقدم الصحابى الجليل أسيد بن حضير إلى يهود بنى قريظة وقال :

- يا أعداء الله، لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا، إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر.

فقالوا :

- يا ابن حضير، نحن مواليك.

قال أسيد بن حضير :

- لا عهد بينى وبينكم.

وكيف يكون لهم عهد بينهم وبين الأوس وقد نقضوا عهد نبى الوفاء ﷺ فى الوقت **الذى جاءت الأحزاب لتستأصل المسلمين والإسلام ؟ إنهم لم يكتفوا بنقض العهد بل تآمروا على سلامة دولة.**

فرض الحصار على يهود بنى قريظة :

تتابعت كتائب الإسلام بقيادة صاحب لواء الحمد ﷺ حتى أحاطت بمعاقل سفهاء بنى قريظة من كل مكان.

محاولة عقلاء اليهود إنقاذ الموقف :

لما **علم عمرو بن سعدى** بانسحاب الأحزاب جاء إلى قومه بنى قريظة ودعاهم إلى اجتماع عاجل وذلك قبل وصول الجيش الإسلامى لضرب الحصار عليهم، وفى هذا الاجتماع الذى حضره كل زعماء بنى قريظة وقف عمرو بن سعدى فوبخهم وأنبهم **وذكرهم بما نصحهم به قبل إقدامهم على جريمة نقض عهد محمد ﷺ وارتكابهم جريمة الخيانة ثم قال :**

- يا بنى قريظة، لقد رأيت عبرا، رأيت دار إخواننا - يعنى بنى النضير - خالية بعد ذلك العز والشرف والرأى الفاضل والعقل، تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل.

ثم أكد لهم كما جاء فى التوراة أنه لا يعادى أحدٌ محمدا ﷺ إلا كان مصيره الخسران.

ثم أقسم عمرو بن سعدى وقال :

- لا والتوراة ما سلط هذا - يعنى خاتم النبيين ﷺ - على قوم والله بهم حاجة، وقد وقع ببنى قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة، فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم - أسرهم - فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب.

ثم دعا عمرو بن سعدى قومه بنى قريظة إلى الدخول فى الإسلام ليحقنوا دماءهم ويتبعوا الحق فقال :

- يا قوم، قد رأيتم، فأطيعونى، وتعالوا نتبع محمدا فو الله إنكم لتعلمون أنه نبى، وقد بشرنا به علماؤنا.

ثم لازال عمرو بن سعدى يخوفهم بالحرب والسبى، وأقبل على سيدهم كعب بن أسد القرظى وقال له :

- والتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء إنه للعز والشرف فى الدنيا - يعنى الدخول فى الإسلام -.

وبينما اليهودى العاقل يحدث قومه فى ذلك الاجتماع إذا بطلائع الجيش النبوى تظهر عليهم زاحفة كالسيل العرم وتطبق عليهم من كل جانب، فقطع عمرو بن سعدى حديثه وقال :

- هذا الذى قلت لكم - أى حذرتكم من وقوعه -.

ومع كل هذا فقد رفض سفهاء بنى قريظة نصيحة عمرو بن سعدى الذى دعاهم إلى الإسلام.

فتقدم عمرو بن سعدى بمحاولة أخيرة فقال :

- لقد خالفتم محمدا ولم أشرككم فى غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فى دينه **فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية**، فو الله ما أدرى أيقبلها منكم أم لا ؟

ولكن يهود بنى قريظة رفضوا أيضا حتى هذا الاقتراح وقالوا :

- نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه، القتل خير من ذلك.

ثناء نبى الوفاء ﷺ على اليهودى الوفى العاقل :

لما رأى **عمرو بن سعدى** أن عناد قومه سوف يقودهم إلى التهلكة والفناء دونما شك **أعلن براءته منهم وفارقهم إلى الأبد** وخرج من حصون قومه بنى قريظة بعد أن طوقها الجيش الإسلامى من كل مكان وكان خروجه ليلا، فالتقى به رجال الحرس النبوى الذين كانوا يقومون بالحراسة والدورية فألقوا القبض عليه ثم أتوا به إلى قائدهم الصحابى الجليل محمد بن مسلمة فسأله :

- من أنت ؟

قال اليهودى الوفى العاقل :

- أنا عمرو بن سعدى.

وتذكر محمد بن مسلمة موقفه النبيل وكان قد بلغ المسلمين حين قال :

- لا أغدر بمحمد أبدا.

وأبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدر رسول الله ﷺ.

وأطلق محمد بن مسلمة سراح عمرو بن سعدى مع أنه خرج من حصون قومه بنى قريظة وكان لا يزال على يهوديته وقال له محمد بن مسلمة :

- اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام.

فخرج عمرو بن سعدى على وجهه حتى بات مستأمنا فى مسجد رسول الله ﷺ **تلك الليلة بالمدينة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ؟**

ولما ذكرت قصة إلقاء الحرس القبض على عمرو بن سعدى ثم إخلاء محمد بن مسلمة سبيله قال الرحمة المهداة ﷺ :

- ذاك رجل نجاه الله بوفائه.

مقاومة اليهود واشتداد الحصار عليهم :

استمرت بنو قريظة فى غيها وعنادها ورفضت كل الاقتراحات التى تقدم بها عمرو ابن سعدى لحقن دمائها، واعتصمت بحصونها مصممة على القتال والمقاومة**{وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ}** [سورة الحشر الآية : ٢].

أما المسلمون فقد أحكموا الحصار حول الحصون وقاموا بتطويقها كما يحيط السوار بالمعصم، وقطعت الجيوش الإسلامية كل اتصال بين السفهاء والخارج، ووضع الجيش المحمدى يده على مزارعهم ونخيلهم الواقعة خارج حصونهم.

ونزل إمام الخير ﷺ أثناء ضرب الحصار على سفهاء بنى قريظة على بئر من آبارهم يقال لها بئر أنى، وجعل مقر قيادته هناك.

وكانت مقاومة يهود بنى قريظة فى بادئ الأمر شديدة، ولكن بعد مرور حوالى عشرين ليلة بدأ الضعف والقلق يتسرب إلى نفوسهم بعد أن أجهدهم الحصار وايقنوا أن المسلمين ليسوا بمنصرفين عنهم حتى

يستسلموا أو يقتحموا عليهم حصونهم ويفتحوها بحد السلاح.

وعلى الرغم من الإمكانيات المادية المتوفرة لديهم من مياه ومواد غذائية وسلاح كامل وحصون منيعة تساعدهم على المقاومة وقتا طويلا إلا أن نفوسهم امتلأت بالرعب والفزع فخارت قواهم وراحوا يفكرون فى الطريقة التى يمكنهم بها حقن دمائهم.

سيد بنى قريظة يدعوهم إلى الإسلام:

فى ذلك الظرف العصيب **دعا سيد بنى قريظة كعب بن أسد القرظى زعماء قومه** إلى الاجتماع فى مقر قيادته لتبادل وجهات النظر بشأن الموقف الحربى ولإبداء الرأى حول ما يجب اتخاذه لإنقاذ الموقف المتدهور.

ولما اجتمع رؤساء الغدر والخيانة بسيدهم كعب بن أسد وكان عاقلاً متزنا لولا رفقاء السوء الذين غلبوه على أمره وحملوه على نقض العهد الذى كان بينه وبين إمام الخير ﷺ.

كان كعب بن أسد كارها لنقض العهد راغبا رغبة أكيدة فى البقاء على ولائه للمسلمين، من أجل ذلك أغلق باب حصنه فى وجه شيطان بنى النضير حيى بن أخطب عند ما جاءه عندما وصلت جيوش الأحزاب إلى ضواحى المدينة.

كان كعب يعلم أن حيى بن أخطب ما جاء إلا ليطلب من بنى قريظة الغدر بالمسلمين والانضمام إلى الأحزاب، وكان كعب بن أسد متخوفا من نقض العهد، وكان يقدر النتائج الوخيمة التى ستترتب على الغدر بالمسلمين قبل وقوعها، لذا رفض فى بادئ الأمر مقابلة شيطان بنى النضير حيى بن أخطب واستقبح رأيه الداعى إلى الغدر بالمسلمين وقال له :

- ويحك يا حيى إنك رجل مشئوم، وإنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا.

وذكر كعب بن أسد حيى بن أخطب على وجه الخصوص بأنه حذرهم من هذا المصير وذكر بنى قريظة عندما مانع نقض العهد والغدر بالمسلمين فى بداية الأمر.

ثم قال زعيم بنى قريظة :

- يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، ولقد كنت كارها لنقض العهد.

ثم التفت إلى شيطان بنى قريظة حيى بن أخطب، وأشار إليه محمله مسئولية ومغبة كل ما حدث وسيحدث لبنى قريظة قائلا :

- ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس.

وكان حيى بن أخطب عندما نجح فى حمل بنى قريظة على نقض العهد، والغدر بالمسلمين قد تعهد لكعب بن أسد بأن يدخله معه حصنه المنيع ليصيبه ما أصاب بنى قريظة إذا ما انسحبت جيوش الأحزاب دون أن تستأصل شأفة المسلمين وتقضى عليهم قضاء مبرما، **وقد وفى له حيى بن أخطب بذلك.**

فهل أتى الله ﷻ به إلى حصون بنى قريظة ليجنى ثمار أعماله الشريرة فبقى معهم داخل حصونهم حتى نهاية أمرهم ؟

ودعا كعب بن أسد القرظى زعماء بنى قريظة إلى أمر من ثلاثة :

إما اتباع محمد ﷺ والدخول فى الإسلام.

وإما هجوم على المسلمين بطريقة انتحارية بعد قتل نساء بنى قريظة وأطفالها.

وإما أخذ المسلمين على حين غرة بالهجوم عليهم يوم السبت وهو يوم لا يعمل فيه اليهود شيئا - تدينا -.

ولكن السفهاء رفضوا العمل بأى من هذه المقترحات.

فلما رأى زعيم بنى قريظة ذلك قال :

- أتذكرون يا بنى قريظة ما قال لكم ابن خراش - كان حبرا من أحبارهم - قال :

إنه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا، وتكونوا آمنتم بالكتابين الأول والآخر - التوراة والقرآن -.

ثم دعا كعب بن أسد قومه إلى اتباع النبى الأمى العربى ﷺ والإيمان به قائلا :

- فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل وإنه الذى تجدونه فى كتابكم،

وما منعنا من الدخول معه إلا حسد العرب حيث لم يكن من بنى إسرائيل، فاتبعوه تأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم.

فرفض سفهاء بنى قريظة اقتراح زعيمهم وقالوا :

- لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره.

فعاد كعب بن أسد القرظى يعرض عليهم اقتراحاته الثلاثة السابقة : اتباع محمد ﷺ، أو الهجوم على المسلمين بطريقة انتحارية، بعد قتل نساء وأطفال بنى قريظة، أو أخذ المسلمين على حين غرة بالهجوم عليهم يوم السبت.

فرفضوا هذه المقترحات.

وهنا يئس سيد وزعيم بنى قريظة من قومه فنفض يده منهم وختم حديثه قائلا :

- ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما.

اليهود يطلبون المفاوضة :

لما بلغ الحصار ذروته قام زعماء بنى قريظة بعدة محاولات للحصول على ضمانات من الصادق المصدوق ﷺ يحقن لهم دماءهم ويعفو عن نساءهم وذراريهم من السبى ثم يخرجون من يثرب إلى غير رجعة.

وكانت أولى هذه المحاولات أن بعثت بنو قريظة إلى أبى القاسم ﷺ تعرض عليه استعدادها للجلاء عن يثرب على الصورة التى تم بها إجلاء إخوانهم من بنى النضير بعد غزوة أحد وقد حمل هذا العرض نباش بن قيس إلى النبى ﷺ، ولكن المبعوث للناس كافة ﷺ رفض هذا العرض رفضا باتا ومع هذا الرفض لم ييئس سفهاء بنى قريظة وأرسلوا مندوبهم نباش بن قيس ليعرض على السراج المنير ﷺ عرضا آخر : يطلبون فيه **أن يسمح لهم - رجالا ونساءا وأطفالا - بالجلاء عن يثرب والنجاة بأرواحهم وأنهم يوافقون على ترك ما يمكلون للمسلمين فلا يحملون معهم أى شئ من المال، ولكن رد صاحب الشفاعة ﷺ كان قاطعا بأنه لا يقبل من هؤلاء اليهود إلا التسليم بدون قيد أو** شرط ولما علمت بنو قريظة هذا الرد القاطع الباتر أسقط فى يدها وازدادت مخاوفها وتضاعف قلقها وصار زعماؤها يتخبطون فى بحر الحيرة والقلق والخوف لاسيما أن

الحصار قد أجهدهم وأخذ بخناقهم فحطم أعصابهم.

محاولة سفهاء بنى قريظة الأخيرة :

عاد زعماء بنى قريظة يتشاورون وقد بدأت المؤن تنفد ووجفت القلوب فالموت جوعا يهدد الذين فجروا فى عهدهم وانقادوا إلى شيطان بنى النضير حيى بن أخطب المشئوم، وألقى القوى المتين الرعب فى قلوبهم، وقد ملأت جريمتهم أقطار رءوسهم : إنهم قبلوا أن يسلموا محمدا ﷺ والذين معه إلى الأحزاب **وأن الحكم فى هذه الخيانة هو الإعدام**، وحاولوا فكان جوابه :

- إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ دون قيد أو شرط.

وزاغت الأبصار وطاشت عقول سفهاء بنى قريظة وتعلقت عيونهم الحائرة المفزعة بساداتهم وقد امتلأت ضراعة أن يهتدوا إلى رأى، فقد أوشك الجميع أن يموتوا جوعا ورعبا.

وعاد زعماء يهود بنى قريظة لبحث ما يجب اتخاذه حيال الموقف المتأزم.

وأثناء الاجتماع تقدم فتية - كانوا شبابا أحداثا - فقالوا :

- يا بنى قريظة : والله إنه للنبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهيبان

فقال زعماء بنى قريظة :

- ليس به.

قال الفتية :

- بلى والله إنه لهو بصفته.

فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دمائهم وأموالهم وأهليهم.

أما سفهاء بنى قريظة بالرغم من استيقانهم أن محمدا ﷺ نبيا مرسلا فقد شرقوا بالإسلام وصمموا منذ اللحظة الأولى على مقاومته والعمل على شل حركته حسدا وبغيا.

وأخيرا اتفق يهود بنى قريظة على أن يبعث محمدٌ ﷺ أبا لبابة فقد كان الصحابى الجليل مناصحا لهم وكان ولده وعياله فيهم.

أبو لبابة فى حصن بنى قريظة :

دعا إمام الخير ﷺ الصحابى الجليل أبا لبابة وقال له :

- اذهب إلى حلفائك فإنهم أرسلوا إليك من بين الأوس.

فذهب أبو لبابة إلى يهود بنى قريظة، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة الحصار وتشتيت مالهم، فرق لهم فقام كعب بن أسد وقال :

- يا أبا بشير، قد عرفت ما بيننا، وقد اشتد علينا الحصار، وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه، فلو زال عنا للحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا، ما ترى.؟ قد اخترناك على غيرك، أننزل على حكم محمد ؟.

فقال أبو لبابة :

- نعم انزلوا.

وأومأ إلى حلقه بالذبح.

أى إنه الذبح.

يقول أبو لبابة :

- فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله.

وندم أبو لبابة ندما شديداً وقال فى خوف شديد.

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

وسربله الخزى وعلاه القهر وجعل ضميره يؤنبه ويخزه وخزا شديدا

فسأله كعب بن أسد القرظى :

- مالك يا أبا لبابة ؟

قال أبو بشير فى صوت متهدج وقد غلفه الندم :

- خنت الله ورسوله.

وملأت الدموع عينيه، ثم انطلق على وجهه فلم يأت نور الظلمة ﷺ، وذهب إلى المسجد وكان الحر شديدا، **ولكن النار التى تلظت فى جوف أبى لبابة كانت أشد حرا**، ففكرة أنه خان الله ورسوله كانت تلسعه لسعا.

والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على :

ارتبط أبو لبابة بالمسجد إلى عمود من عمده بسلسلة ثقيلة، وكان هذا العمود عند باب أم المؤمنين أم سلمة، وكان أكثر تنقل كاشف الغمة ﷺ عند

ذلك العمود.

كان ما فعله أبو لبابة بن عبد المنذر غير مألوف - ربط نفسه فى سلسلة إلى عمود من عمد المسجد - فخف إليه الناس يسألونه الخبر فقال فى انفعال شديد :

- والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت.

وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا.

واستبطأ رسول السلام ﷺ أبا لبابة، وفيما هو يرقب وفوده عليه إذ جاءه ناس من المدينة وأخبروه ﷺ خبر أبى لبابة فقال عليه الصلاو والسلام:

- أما لو جاءنى لاستغفرت له، وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه.

وظل أبا لبابة بن عبد المنذر مرتبطا فى العمود تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه، وظل أبو لبابة على هذا الحال ست ليال بلا طعام ولا شراب.

الله ﷻ يتوب على أبى لبابة :

نزلت توبة أبى لبابة من فوق سبع سماوات على رسول الله ﷺ وقت السحر وكان سيد الأولين والآخرين ﷺ فى بيت أم سلمة فضحك فقالت أم المؤمنين أم سلمة:

- ممن تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك.

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

- تيب على أبى لبابة.

قالت أم المؤمنين أم سلمة :

- أفلا أبشره يا رسول الله ؟

قال الرحمة المهداة ﷺ :

- بلى، إن شئت.

فقامت أم المؤمنين أم سلمة على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب

على أزواج النبى ﷺ الحجاب - فقالت :

- يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك.

فثار المسلمون إليه ليطلقوه ولكنه أبى وقال فى إصرار:

- لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ الذى يطلقنى بيده.

فلما مر صاحب الشفاعة ﷺ وهو خارج إلى الصلاة - صلاة الصبح - أطلقه.

وأنزل السميع البصير:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}** [سورة الأنفال الآية: ٢٧].

انهيار يهود بنى قريظة فى المقاومة :

كانت استشارة يهود بنى قريظة آخر محاولة يقوم بها سفهاء بنى قريظة للحصول على أى شئ أو أى شرط يحقنون به دماءهم عند الاستسلام، ولكنهم بدلا من أن **يظفروا بشئ من ذلك تلقوا من أبى لبابة بإشارته تلك ما يؤكد لهم أن الموت مصيرهم إن هم استسلموا ونزلوا على حكم النبى الخاتم ﷺ.**

وبهذا انقطع آخر خيط من الأمل لهم فى التخفيف، وبدلا من أن يكون هذا حافزاً لهم على الإصرار والصمود والاستبسال والقتال حتى الموت، تملكهم الرعب والفزع وسيطرت عليهم روح الجبن فانهاروا انهيارا كليا.

ومع شدة الجوع والانهيار الكلى الذى عم حملة السلاح من سفهاء بنى قريظة فقد ظلوا يماطلون فى التسليم فى انتظار معجزة تتدخل لتنقذهم من الورطة الخانقة ولكن هيهات.

لما رأى المسلمون مماطلة سفهاء بنى قريظة فى التسليم مع الانهيار الذى لاحظوه عليهم أرهبوهم إرهابا شديدا إذا أعلنوا أنهم سيقتحمون الحصون ويفتحونها عنوة.

وارتفع صوت على بن أبى طالب حامل اللواء :

- والله لأذوقن ما ذاق حمزة - الشهادة - ولأفتحن حصنهم.

فلما سمع جبناء بنى قريظة هذا الإنذار من أبى الحسن ورأوا تحركات قطاعات الجيش النبوى وتأهبهم للهجوم العام والاستعداد لاقتحام الحصون كلها فى هجوم **كاسح.. طلبوا إيقاف الهجوم وأعلنوا الاستسلام والنزول**

على حكم إمام الخير ﷺ دونما قيد أو شرط.

فأوقف المسلمون الهجوم، وسارع يهود بنى قريظة إلى فتح أبواب معاقلهم **وحصونهم بعد أن ألقوا سلاحهم وأخذوا فى مغادرة الحصون مستسلمين.**

فابتدرهم جند الإسلام لحراستهم، وصاروا يجمعونهم منعزلين فى ناحية، وبعد تكامل خروجهم من الحصون رجالا ونساء وأطفالا أمر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ باعتقال الرجال ووضع القيود فى أيديهم، وقد تم ذلك تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصارى قائد حرس النبى ﷺ.

أما النساء والذرارى فقد أمر أبو القاسم ﷺ بعزلهم عن الرجال البالغين فجعلوا فى ناحية وأوكل أمرهم إلى الصحابى الجليل عبد الله بن سلام، وبعد أن تم استسلام سفهاء بنى قريظة أمر نور الظلمة ﷺ أن يوضع الرجال فى محبس خاص بهم.

أما النساء والذرارى فقد أمر صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يحفظوا فى مكان ليس فيه صفة الحبس والتضييق.

وقد حبس الرجال من بنى قريظة وكان عددهم ثمانمائة مقاتل فى دار أسامة بن زيد أما النساء والأطفال فقد أعدت لهم دارًا ينزلون فيها ليست لها صفة السجن إذ أمر نبى الرحمة ﷺ بإنزالهم فى دار الضيافة وهى دار ابنة الحرث النجارية المعدة دائما لنزول الوفود التى تقصد مدينة رسول الله ﷺ وكان عدد هؤلاء النساء والذرارى **يناهز الألف.**

محاكمة سفهاء بنى قريظة:

كان سفهاء بنى قريظة حلفاء الأوس فى الجاهلية كما كان يهود بنى النضير وبنى قينقاع حلفاء الخزرج، وقد ظل هذا الحلف قائما حتى بعد مجىء الإسلام وإن اختلفا فى الدين والعقيدة دون أن يعترض الإسلام على ذلك.

واجتمع وفد الشفاعة من الأوس بنبى الرحمة ﷺ وتقدموا إليه بالتماس طلبوا فيه أن يتكرم بالتخفيف من عقوبة هؤلاء السفهاء ولو الاكتفاء بنفيهم من المدينة فاستجاب صاحب الخلق العظيم ﷺ لوفد الشفاعة مع فظاعة جريمة الغدر والنكث والخيانة العظمى التى ارتكبها سفهاء بنى قريظة فقد

جُبل نبى الوفاء ﷺ بما جبل عليه من نبل وشهامة ومراعاة لمشاعر وأحاسيس وعواطف أصحابه الذين آووا ونصروا ففوض **مصير سفهاء بنى قريظة إلى سيد الأوس سعد بن معاذ فأصبح مصيرهم فى أيدى الأوس أنفسهم، وليحكم فيهم حليفهم بما يريد الله ﷻ.**

فطابت نفس الأوس من صحابة الشافع المشفع ﷺ بهذا التفويض حيث كانوا **يأملون أن يخفف سيدهم سعد بن معاذ من عقوبة حلفائه سفهاء بنى قريظة.**

تحكيم سعد بن معاذ فى بنى قريظة :

كان سعد بن معاذ جريحا فقد أصابه سهم قطع شريانه يوم الخندق وكانت رفيدة تقوم بمداواته ومداواة جرحى المسلمين ممن لم يكن له من يعالجه من أهله، فأمر طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ أن يوضع سعد بن معاذ فى خيمة المسجد حتى يكون زعيم الأوس قريبا منه فيعوده ويتعرف على حاله متى شاء، وقامت المرأة الصالحة تداوى سعد بن معاذ والجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين.

وقابل أعيان الأوس سيدهم سعد بن معاذ فى المسجد النبوى وأخبروه أن خاتم النبيين ﷺ قد جعل أمر بنى قريظة إليه ليحكم فيهم بما يريه الله ﷻ وأنه لابد من حضوره إلى حيث يعسكر الجيش الإسلامى فى ديار بنى قريظة ليبت فى موضوعهم.

وحملوا سعد بن معاذ على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم - كان جرح سعد خطيرا، وكان نفسه جسيما - وحف به قومه فقالوا :

- يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت لتحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال :

- لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم.

ولما جاء سعد بن معاذ النبى الخاتم ﷺ قال ليهود بنى قريظة :

- اختاروا من شئتم من أصحابى.

قالوا :

- ننزل على حكم سعد بن معاذ.

فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ لزعيم الأوس :

- احكم فيهم يا سعد.

فقال سعد بن معاذ :

- الله ورسوله أحق بالحكم.

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- قد أمرك الله أن تحكم فيهم.

فالتفت سعد بن معاذ إلى الناحية التى ليس فيها أبو القاسم ﷺ فقال :

- عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت ؟

قالوا :

- نعم.

وأشار إلى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن المصطفى ﷺ إجلالاً له وقال :

- وعلى من هنا مثل ذلك ؟

قال النبى ﷺ :

- نعم.

ثم سأل سعد بن معاذ سفهاء بنى قريظة :

- أترضون بحكمى ؟

قالوا :

- نعم.

فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به ثم قال :

- فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار.

فقال الأنصار :

- إخواننا لنا معهم.

قال سعد بن معاذ :

- إنى أحببت أن يستغنوا عنكم.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لسعد بن معاذ :

- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات.

دفن اليهود فى الخنادق بعد إعدامهم :

أمر بحفر خنادق عميقة لتدفن جثث هؤلاء السفهاء الخونة بعد إعدامهم، وكان المكان الذى أختير لإعدامهم **ودفنهم هو سوق المدينة** الذى يغلب على الظن أنه المسمى اليوم بسوق المناخة.

وجاء سعد بن معاذ والحباب بن المنذر وهما من الخزرج فقالا :

- يا رسول الله، إن الأوس كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم.

فقال سعد بن معاذ :

- ما كرهه أحد من الأوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله.

فقام أسيد بن حضير وهو من سادات الأوس فقال :

- يا رسول الله، لا تبقى دار من دور الأنصار إلا فرقتهم - يهود بنى قريظة - فيها.

ففرقهم إمام الخير ﷺ فقتلوهم.

شيطان بنى النضير يتكلم قبل إعدامه :

كان على رأس الذين نفذ فيهم حكم الإعدام من هؤلاء السفهاء كبير مجرميهم ورأس الفتنة والشر حيى بن أخطب سيد بنى النضير الذى حزب الأحزاب وجمع جيوشها لغزو مدينة رسول الله ﷺ وحمل بنى قريظة على نكث العهد وشجعهم على تسديد تلك الضربة الغادرة للجيش الإسلامى من الخلف فى تلك الساعات الدقيقة فقاد **هذا المجرم الخبيث عمله السيئ إلى مصرعه.**

وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة فقاحية - فى لون الورد قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها أحد من المسلمين - مجموعة يداه إلى عنقه بحبل.

فلما نظر إليه البشير النذير ﷺ سأله :

- ألم يمكن الله منك ؟

قال شيطان بنى النضير :

- أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل.

ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس.

إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى إسرائيل.

ثم جلس فضربت عنقه، ثم ألقى بجثته فى الخندق.

وقد امتدح أحد شعراء يهود وهو جبل بن جوال الغطفانى الثعلبى شيطان بنى النضير على شجاعته وموقفه قبل إعدامه فقال :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ::: ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ::: وقلقل يبغى العز كل مقلقل

قلقل : تحرك.

وأوتى بكعب بن أسد القرظى وكان على جانب كبير من العقل وبعد النظر وكان كارها لنقض العهد، وغير راغب فى الغدر بالمسلمين بل كان ميله إلى الإسلام لذلك دعا قومه إلى اعتناقه، ولكن غلبت عليهم وعليه الشقوة وغلب عليه شيطان بنى النضير حيى بن أخطب حتى انحرف به عن الطريق المستقيم الذى كان يريده، فقاده وقاد قومه بنى قريظة فى النهاية إلى ذلك المصير المخيف وهو الإعدام.

وكان كعب بن أسد - على النقيض من حيى بن أخطب - يمتاز بعفة اللسان ووفرة الأدب - فعندما أتى بزعيم بنى قريظة لتنفيذ حكم الإعدام فيه قال له الهادى البشير ﷺ :

- يا كعب :

قال زعيم بنى قريظة :

- نعم يا أبا القاسم.

قال الرحمة المهداة ﷺ :

- ما انتفعتم بنصح ابن خراش - حبر من أحبار يهود الكبار مات قبل الإسلام - أى قبل ظهور النبى الخاتم ﷺ وكان يصفه ويوصيهم باتباعه ﷺ - لكم وكان مصدقا بى، أما أمركم باتباعى وإن رأيتمونى تقرؤنى السلام ؟

قال كعب بن أسد:

- بلى والتوراة يا أبا القاسم، ولولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك فأمر النبى ﷺ الخاتم فضربت عنقه.

المرأة الوحيدة التى أعدمت:

تم إعدام جميع رجال بنى قريظة جزاء غدرهم، وخيانتهم ونكثهم العهد أما النساء من بنى قريظة فلم يقتل المسلمون منهم أحدًا لأن آداب الحرب فى الإسلام تحرم تحريما قاطعا قتل نساء العدو **إلا حدا أو قصاصا أو فى المعركة إذا كانت المرأة تقاتل** ولهذا فإنه لم يقتل من نساء بنى قريظة **إلا امرأة واحدة،** أمر سيد الأولين والآخرين ﷺ بقتلها قصاصا بخلاد بن سويد قامت هذه المرأة باغتياله.

وهذه المرأة هى مزنة كانت قد طرحت رحى على الصحابى الجليل خلاد بن سويد بتحريض من زوجها فقتلته. فتم إعدامها قصاصا بذلك.

مصير السبى والغنائم :

بعد أن فرغ إمام المجاهدين ﷺ من أمر رجال بنى قريظة **تنفيذا للحكم الذى أصدره القاضى سعد بن معاذ** أمر المبعوث للناس كافة ﷺ بتشكيل هيئة من كبار الصحابة للقيام بجرد وإحصاء جميع أموال سفهاء بنى قريظة المنقولة وغير المنقولة من ديار وسلاح ومزارع وخيول وجمال وغير ذلك.

وتم إحصاء السبى من النساء والذرارى **فكانوا ألف رأس.**

وقد وجد المسلمون فى حصون بنى قريظة من العتاد الحربى :

١٥٠٠ ألف وخمسمائة سيفا.

٢٠٠٠ ألفين من الرماح.

٣٠٠ ثلاثمائة درع.

٥٠٠ ترس وجحفة.

كما وجد جرارا كثيرة من الخمر المخزون المعتق فأمر إمام الخير ﷺ بإراقتها وعدم قسمتها مع الغنائم - وهذا دليل على أن الخمر قد نزل بها التحريم -**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}** [سورة المائدة الآية : ٩٠- ٩١].

بعد غزوة بنى قريظة.

وبعد أن تم إحصاء الغنائم من سبى وأموال بنى قريظة أمر الصادق المصدوق ﷺ بتقسيمها على جند الإسلام الذين اشتركوا فى حصار بنى قريظة فقط.

منع التفريق بين الأم وابنها :

عند توزيع الغنائم على المحاربين أصدر معلم البشرية ﷺ أمرا مشددا بأن لا يفرق **أحد بين أم وولدها من سبى بنى قريظة عندما يرغب فى بيعهم**، فإما البيع معا.

وأما الاستبقاء معا، لأن التفريق بين الأم وولدها تعذيبا شديدا لا يقره الإسلام بل إن نبى الرحمة ﷺ ذهب فى الشفقة والرحمة إلى أبعد **من منع التفريق بين الأم وولدها** فأصدر أمره مشددا أيضا بأن **لا يفرق أحد بين الأخت وأختها حتى يبلغا.**

فقال المبعوث رحمه الله للعالمين ﷺ : **من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** (رواه الترمذى).

وقال عليه الصلاة والسلام :

- لا يفرق بين الوالدة وولدها.

فقال عبادة بن الصامت :

- إلى متى يا نبى الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

- حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية.

يقول على بن أبى طالب :

وهب النبى ﷺ لى غلامين صغيرين فبعت أحدهما فقال :

- ما فعل غلامك ؟

قلت :

- بعته.

فقال عليه الصلاة والسلام :

- رده رده (رواه الترمذى).

أى أن النبى ﷺ استنكر التفريق بين الأخ وأخيه ما داما صغيرين.

وبعد الاستيلاء على ممتلكات سفهاء بنى قريظة وسبى نسائهم وذراريهم، بعث إمام الأنبياء ﷺ بقسم هذا السبى إلى البلدان المجاورة لبيعهم وشراء خيل وسلاح بثمنهم للجيش الإسلامى.

الطاعنون فى حكم إعدام السفهاء :

هناك فريقان لا يمر أحدهما بحادث العقوبة النازلة بيهود بنى قريظة إلا ويعلن استنكاره للحكم النافذ فى هؤلاء السفهاء **وخاصة عقوبة الإعدام ويصفها بأنها عمل وحشى** وفريق رئيسى وهم غير المسلمين الذين يحرصون دائما على نشر ظلال من الشكوك حول دعوة الحق وإيجاد مطاعن فى قطب هذه الدعوة وحامل لواء رسالتها الصادق المصدوق ﷺ.

وأهداف هذا الفريق الخبيثة ومقاصده السيئة معروفة مكشوفة، فهم أعداء أساسيون حاقدون على الإسلام وخاتم الأنبياء ﷺ.

وفريق ثانوى وهم بعض المنتسبين إلى الإسلام والمحسوبين عليه، الذين لا يعرفون هذا الدين الحنيف إلا ما تلقوه من مدارس ومعاهد وجامعات أعدائه.

كل هؤلاء وأولئك يلمحون ويصرحون أحيانا بأن عملية الإعدام الجماعية التى تمت بحق سفهاء بنى قريظة على تلك الصورة الصارمة السريعة هى عملية قد اتسمت **بطابع الوحشية والانتقام** الذى يتنافى مع قواعد الإنسانية وروح القرن العشرين المتمدنة، لا سيما وأن اليهود قد وقعوا أسرى حرب فى أيدى المسلمين.

تحذير لكل مسلم :

قبل الدخول فى مناقشة هؤلاء الطاعنين فى الحكم الصادر والنافذ بحق بنى قريظة، وقبل رد هذه المطاعن **وإبطالها بالحجج المنطقية والقانونية والوجدانية**، لابد لنا ولكل مسلم من الإقرار والتسليم - صيانة لديننا وحماية لإيماننا - بأنه ليس لنا الحق فى اى تعقيب أو مناقشة - فضلا عن الانتقاد - فى أى حكم يصدر عن الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ، لأن الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لا يصد فى أى حكم إلا عن الله ﷻ إذ هو كما قال تبارك وتعالى :**{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** [سورة النجم الآية : ٢، ٣].

وقال تعالى**{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ}** [سورة النساء الآية : ٨٠].

وقال السميع البصير**{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [سورة الحشر الآية : ٧].

وأى إنسان ينتسب إلى الإسلام ويصدر منه أى طعن أو انتقاد لحكم يصدره الصادق المصدوق ﷺ **أو يمضيه فهو كافر لا مكان له فى الإسلام**، لأن الذى يفعل شيئا **من هذا يعتبر معترضا على خاتم النبيين** ﷺ، **والذى يعترض على حبيب الرحمن** ﷺ **إنما هو فى الحقيقة معترض على العزيز الحكيم وطاعن فى حكم الله** ﷻ، **والطاعن فى حكم الله كافر حلال**

دمه بالإجماع.

والحكم الصادر فى حق يهود بنى قريظة كما ثبت فى صحيح البخارى هو حكم الله ﷻ الذى ارتضاه وأراده كما قال ذلك الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ للقاضى سعد ابن معاذ عندما أصدر حكمه بالإعدام على سفهاء بنى قريظة :

- حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات (رواه البخارى).

ومع إيماننا الكامل بكل ما ذكرنا وتسليمنا المطلق بعدالة ذلك الحكم الذى صدر بحق يهود بنى قريظة ونفذ فيهم، فإننا مستعدون لمناقشة المعترضين الطاعنين الحاقدين الكافرين فى هذا الحكم، **وأن نثبت لهم شرعية ووجاهة هذا الحكم**، ومطابقته لكل قواعد العدالة التى يلتزمها القضاء والحكم لكل عصر وزمان وحتى زمن القرن الحادى والعشرين، وأن يتمشى كل التمشى مع قواعد الإنسانية وأنه ليس فيه أى تنافر مع إحساسات الضمائر الحية والوجدانات المستقيمة.

ولنبدأ المناقشة :

طبيعة اليهود الأبدية :

منذ أن وصل صاحب الخلق العظيم ﷺ منطقة يثرب كان هؤلاء اليهود بل يهود يثرب على أمر مبيت للكيد لخاتم النبيين ﷺ والقضاء عليه وعلى دعوته بأية وسيلة**{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}** [سورة التوبة الآية : ٣٢].

وأكد العزيز الحكيم ذلك مرة أخرى**{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}** [سورة الصف الآية : ٨].

وأن الغدر والخيانة واستحلال دماء وأعراض وأموال من يخالف اليهود فى دينهم ولا ينحدر من جنسهم قاعدة ثابتة لديهم، وطبيعة خبيثة متأصلة فى نفوسهم سابحة فى دمائهم، لا تلبث أن تطفو وتظهر وتبرز وتتجلى عندما تسنح لهم الفرصة، فيسيرون على هذه القاعدة اللعينة **حتى لو أعطوا ألف عهد ووقعوا ألف ميثاق.**

فاليهود يهود قتلة الأنبياء ونقضوا العهود.

المعاهدة بين المسلمين واليهود :

عندما جاء السراج المنير ﷺ إلى يثرب ودان أهلها من الأوس والخزرج وصار المسلمين فى المدينة أغلبية ساحقة عقد إمام الخير ﷺ مع الطائفة اليهودية بقبائلها الثلاث : بنى النضير، وبنى قينقاع، وبنى قريظة - معاهدة شاملة، كان أهم ما جاء فيها أن **المسلمين واليهود أمة واحدة وأن عليهم الدفاع المشترك عن هذا الوطن - يثرب - :** المسلم واليهودى يلزمه حمل السلاح لصد أى عدوان يأتى من الخارج يستهدف هذه المنطقة مهما كان مصدره.

أربع سنوات من المعاهدة :

لم تمض أربع سنوات من هذا المعاهدة حتى كشفت الأحداث المتلاحقة أن اليهود جميعا بقبائلهم الثلاث ما قبلوا تلك المعاهدة وارتضوا بنودها ووقعوا عليها إلا مكرا وخداعا، وأنهم كانوا لا يهدفون من ورائها إلا تطمين المسلمين ليثقوا بهم ويركنوا إليهم فإذا ما سنحت فرصة لهم داسوا هذه العهود والمواثيق وشرعوا - دون إقامة أى اعتبار لخلق أو وجدان أو ضمير أو دين - فى تسديد ضربتهم التى يحرصون على أن تكون قاتلة حاسمة بأية وسيلة مهما بلغت من الخسة والوضاعة.

ولقد عانى صاحب الخلق العظيم ﷺ من هذا الخلق اليهودى الماكر الخبيث المتأصل متاعب كثيرة، فبالرغم من تمسك نبى الوفاء ﷺ بالمعاهدة المعقودة بينه وبين اليهود، ورغبته فى تطبيقها والالتزام بها حرفيا والوفاء بها إلى أبعد الحدود فإن هؤلاء اليهود - دونما استثناء - كانوا لا تسنح لهم نهزة - فرصة - يرون أنهم قادرون فيها على تسديد ضربة قاتلة إلى المسلمين إلا وحاولوا استغلالها وكأن لم يكن هناك بينهم وبين المسلمين عهد أو ميثاق.

عندما ظن يهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير ويهود بنى قريظة أنهم قادرون على نسف الكيان الإسلامى وتدميره حاربوا النبى الخاتم ﷺ.

وقد اكتفى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ بنفى يهود بنى قينقاع بعد أن ظفر بهم، وكانت عقوبة النفى هذه - فيما يبدو لنا - فى مستوى الخطيئة التى ارتكبها يهود بنى النضير ويهود بنى قينقاع.

ولقد حاربت بنو قريظة المسلمين مع بنى النضير، ولكن - لاعتبارات خاصة - لم ينفهم النبى الخاتم ﷺ بل أقرهم وعفى عنهم بعد أن جددوا العهد الذى كان بينهم وبين المسلمين.

العهود والمواثيق فى نظر اليهود :

مزق هؤلاء السفهاء العهود والمواثيق ووطئوها بأقدامهم حينما ذهبوا إلى قيادات الأحزاب ووضعوا أيديهم فى أيديهم وعاهدوهم فى تلك الساعات الرهيبة الحاسمة من تاريخ الإسلام والمسلمين على سحق المسلمين وإبادة خضرائهم كاملة وهدم كيان الإسلام إلى الأبد.

وعندما يأتى إليهم المسلمون ليطلبوا منهم الثبات على العهد ويذكرونهم بالمسئولية العظمى والنتائج الوخيمة التى تترتب على النكث بهذه العهود والمواثيق وخاصة فى تلك الظروف الحربية الدقيقة الحرجة.

وإذا بالجواب يأتى من قبل هؤلاء السفهاء سخرية واستهزاء بالنبى ﷺ وبالمسلمين وبالعهود والمواثيق التى أبرموها معهم وقالوا :

- من هو محمد - هو هذا الذى يقول بيننا وبينه عهد - ومن هو رسول الله ؟ نحن لا **نعرف محمدا وليس بيننا وبينه أى عهد.**

هكذا كان جواب سفهاء بنى قريظة للمسلمين عندما جاء حلفاؤهم من الأوس يطلبون منهم الثبات على العهد الذى بين الفريقين والقيام بالالتزامات العسكرية التى عليهم والتى تقضى بقيامهم بالدفاع المشترك مع المسلمين ضد أى عدو.

إن هؤلاء اليهود لم يسلكوا هذا المسلك الوضيع المنحط إلا وقد أيقنوا أنهم بمساعدة الأحزاب قادرون على تدمير الكيان الإسلامى تدميرا كاملا واستئصال شأفة المسلمين استئصالا كليا، ولهذا لم يترددوا فى الغدر بحلفائهم المسلمين إلى أقصى مما وصل المسلمون بهم إليه، ولا

أدل على ذلك من أن هؤلاء اليهود قد اتفقوا مع قادة جيوش الأحزاب على ألا ينصرفوا بجيوشهم من المدينة إلا بعد أن يقضوا على المسلمين قضاء مبرما وسحقهم كاملا، **وذلك كشرط أساسى لانضمام هؤلاء السفهاء إلى الأحزاب ضد المسلمين وإعلانهم نقض العهد الذى بينهم.**

فهل بعد هذا الصنيع الحقير الذى صنعه اليهود مع سبق الإصرار، والذى لم يقدموا عليه إلا بعد تمحيص ودرس وتخطيط وخبث نية مبيتة يجوز لعاقل منصف أن يسمح لنفسه بالقول :

- إن حكم الإعدام الذى صدر ونفذ بحق سفهاء بنى قريظة هو حكم غير إنسانى ولا عادل ؟

وبقى سؤال :

لو لم يبعث الله ﷻ نُعيم بن مسعود الأشجعى فخذل بين الأحزاب وأوقع الخلاف بينهم، ولولا ريح الصفا والملائكة**{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ}** [سورة المدثر الآية : ٣١] وكان المسلمون بين فكى كماشة الأحزاب ويهود بنى قريظة، فهل كان بنو قريظة **سيتركون أحدا من المسلمين ينعم بالحياه ؟؟؟**

إلى المدافعين عن سفهاء بنى قريظة :

إننا نقول بكل صراحة وصدق واطمئنان وثقة لهؤلاء المعترضين على الحكم الصادر والنافذ بحق يهود بنى قريظة.. إن هذا الحكم ليس فيه كما تتوهمون أية قسوة أو وحشية وإنما هو عقاب عادل نزل بسفهاء خونة مجرمين يستحقونه بل لو كان هناك عقاب أقسى من ذلك لكان عقابا يطمئن إليه الضمير والوجدان وتقره جميع الأعراف والقوانين الدولية وتنفذ مثله حتى بداية القرن الحادى والعشرين فقد كان اليهود والمسلمون أمة واحدة، وكان اليهود مواطنين يثربيين كما أن اليهود لم يكونوا مجبرين على معاهدة الدفاع المشترك عندما وقعوا عليها بل ارتضوا تلك المعاهدة والتزموا بمقتضاها والعمل بها مختارين دون أن يكرههم أحد.

سؤال قانونى :

ما الحكم اليوم الذى يجب إنزاله فى جميع القوانين الدولية بمن خان وطنه وغدر بأمته وشرع - أثناء ظروف حربية قائمة - فى الاتصال بالعدو الذى جاء غازيا لاحتلال وطنه وسحق مواطنيه ؟ وأخذ ييسر للعدو سبل احتلال هذا الوطن ؟

أعتقد أن أحدا من السادة المعترضين والمدافعين عن يهود بنى قريظة لن يستطيع القول إن قانونا واحدا فى أى بلد من بلاد الدنيا سيقول لمن قدم على خيانة وطنه ومساعدة العدو لاحتلال هذا الوطن :

- اذهبوا فأنتم الطلقاء.

بل أعتقد أن واحدا من هؤلاء المعترضين لن يستطيع إلا أن يقول :

- إن أقل عقوبة يمكن إنزالها بمن ارتكب مثل هذه الجرائم التى ارتكبها **سفهاء بنى قريظة هى الموت.**

لأن جميع القوانين فى بلاد العالم بلا استثناء تنص على الموت ومصادرة الممتلكات هى العقوبة العادلة التى يجب أن تنزل بمن ارتكب الخيانة العظمى.

بنو قريظة فى نظر القانون الدولى :

لم يكتف بنو قريظة بالاتصال بالأحزاب فى حالة الحرب القائمة بين حلفائهم المسلمين وتيسير معلومات مهمة لاحتلال المدينة وفتح الطريق من خلف الخندق ومن وراء المسلمين فبطل بذلك عمل الخندق الذى كان مانعا لتقدم الأحزاب فطعن بنو قريظة وطنهم وأمتهم من الخلف بل وأعلنوا انضمامهم إلى الأعداء.

فهل الموت والمصادرة هى عقوبة عادلة لكل ما تقدم من هذه الجرائم أم أن الحكم الذى صدر فى حق بنى قريظة هو حكم غير عادل ومخالف لقواعد الإنسانية ؟

إن من يقوم فى عهدنا الحاضر بارتكاب جريمة واحدة فقط من الجرائم

التى أشرنا إليها والتى **تكفى واحدة منها بإنزال عقوبة الإعدام** بمرتكبها كنقل أسرار حربية إلى العدو.

فما حل بيهود بنى قريظة من عقاب صارم **إنما هو جزاء عادل** يستند إلى قاعدة دولية عامة فى كل عصر وزمان، وهو بعيد كل البعد عن أى شطط أو انحراف عن مبادئ العدالة والإنصاف.

اليهود خونة لا أسرى حرب:

إن اليهود عندما فعلوا ما فعلوا بانضمامهم إلى جيوش الأحزاب الغازية ضد **المسلمين، بل لم يكونوا فى حالة تعاد أو تنافر، فقد كانوا أصدقاء متحالفين مع المسلمين، بل مواطنين هم والمسلمون أمة واحدة يشكلون وحدة وطنية لا تتجزأ**، ملزمون هم والمسلمون على حد سواء **بالدفاع المشترك عن الوطن الواحد المشترك** وهو الوطن اليثربى كما نصت بذلك الاتفاقية المعقودة والمبرمة بينهم.

فيهود بنى قريظة من وجهة نظر القانون الدولى العام لا يمكن وضعهم فى مكان العدو الذى استسلم وهو يخوض حربا مشروعة - قانونا - كالحرب التى تنشب - لسبب من الأسباب بين دولة وأخرى -.

وإنما كان هؤلاء السفهاء من وجهة نظر القانون الدولى العام هو مكان الخائن المتآمر المتواطئ مع العدو على أمته ووطنه فى حالة الحرب القائمة.

وحكم الذى شأنه هكذا عند الظفر به معروف لدى الخاص والعام ومنصوص عليه فى جميع القوانين الدولية، **وهو الإعدام لا غير.**

فيهود بنى قر يظة لسيوا أسرى حرب بالمعنى المتعارف عليه دوليا، حتى يقال لماذا لم يعاملهم محمد ﷺ مثلما عامل غيرهم ممن وقع فى يده من أسرى الحرب الآخرين؟ **وإنما سفهاء بنى قريظة خونة غادرون ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى ضد وطنهم وأمتهم فظفرت بهم يد العدالة بعد أن أدانتهم بالتواطئ مع العدو ضد الوطن الذى هو وطنهم والأمة التى هى جزء منها الدولة التى هم فى ظلها.**

لكل دولة قانونها الخاص :

إن المتعارف عليه دوليا فى كل عصر وزمان هو أن لكل أمة ودولة قانونها الخاص الذى تسير على نهجه فى سلمها وحربها.

ودولة الإسلام يوم نزل العقاب بمجرمى بنى قريظة كان لها قانونها الثابت تنطبق نصوصه على كل مواطنيها : مسلمين وغير مسلمين، وكان قانون الإسلام وما زال هو الدستور الأعلى : **القرآن** يجعل مصير أسرى الحرب إلى الإمام وهو الحاكم والقائد الأعلى للجيش ليتصرف فيهم وفق مصلحة الأمة والدولة والدين.

وعلى ضوء الحق الذى أعطاه القانون الإسلامي فى حالة الحرب لرئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش، فإن يهود بنى قريظة حتى لو كانوا أسرى حرب بالمعنى المتعارف عليه وأمر القائد الأعلى حبيب الرحمن ﷺ بإعدامهم فإنه فى ناحية العرف **السائد دوليا لا مكان للاستنكار مطلقا** - لم يقتل صاحب الخلق العظيم ﷺ من الأسرى طيلة حياته سوى ثلاثة مرات وهم : عقبة بن أبى معيط، والنضر بن الحارث وكانا من كبار مجرمى الحرب ومن المستهزئين بالمصطفى ﷺ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى، أسره المسلمون يوم بدر وأطلق صاحب الشفاعة ﷺ سراحه بعد أن شكى له فقر بناته وأعطاه موثقا أن لا يحمل السلاح ضد المسلمين ولا يحرض على حربهم بشعره أو بسلاحه، ولكن صفوان بن أمية أغراه بالمال فخرج يحرض القبائل على حرب المسلمين وخرج معهم يوم أُحد فأسره مرة أخرى فأمر النبى الخاتم ﷺ بضرب عنقه -.

إعدام يهود بنى قريظة والاتفاقات الدولية :

منذ أربعة عشر قرنا لم تكن هناك معاهدات أو اتفاقات دولية تحرم إعدام الأسرى المستسلمين كما هو اليوم، فكيف يزعم المشوشون والطاعنون بالباطل أن يقولوا :

إن أمر محمدا ﷺ بإعدام يهود بنى قريظة قد خالف العرف والقانون والاتفاقات الدولية.

بل إن النظام الشائع يوم ذلك عند جميع الأمم مسلمين وغير مسلمين أن أسرى الحرب يكون مصيرهم فى يد الرئيس الأعلى للدولة.

وعلى فرض أن سفهاء بنى قريظة أسرى حرب بالمعنى المتعارف عليه وليسوا خونة غادرين ارتكبوا الخيانة العظمى ضد وطنهم ومواطنيهم - مع أنهم بالتأكيد كذلك - فإن مصلحة المسلمين وسلامة كيانهم استلزمت إبادة هؤلاء السفهاء الذين بالإضافة إلى **ارتكابهم الخيانة العظمى التى عقوبتها الموت كانوا سرطانا مخربا فى جسد الأمة الإسلامية وكان العقاب العادل بتر هذا السرطان مصلحة تتطلبها الأمة وهو عمل** ضرورى لسلامتها ويقره القانون السائد فى الأرض التى يقطنها هؤلاء اليهود.

سكان هيروشيما باليابان وبنو قريظة وفلسطين :

إذا قارنا عملية القصاص العادل الذى أباد المسلمون حوالى ثمانمائة مقاتل من خونة سفهاء بنى قريظة المحاربين بما ارتكبه ولا يزال يرتكبه هؤلاء الذين يتشدقون بذكر وحشية عملية إبادة بنى قريظة ويتبجحون بمدنية وعدالة القرن الحادى والعشرين وحقوق الإنسان، لوجدنا أن عملية واحدة من عمليات الإبادة التى أقدموا عليها تكفى لأن تجعل إبادة بنى قريظة شيئا لا يذكر، فكم حصد هؤلاء مئات الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال الذين لم يكونوا يوما محاربين ويستأصلون شأفتهم باسم القانون وحماية الوطن وسلامة الدولة.

فأين مثلا إبادة ثمانمائة مقاتل من خونة محاربين ناكثين غادرين نزل بهم حكم الإعدام قصاصا من مائتين وخميسن ألف غير محاربين ولا ناكثين ولا غادرين مسحتهم من الوجود هم ومدينتهم هيروشيما بقنبلة ذرية واحدة ؟؟؟

وبعد ألا يخجل هؤلاء المتعصبون الحاقدون الحاسدون أعداء الإسلام، والباحثون له كل يوم عن مطعن يحط من شأنه ؟

ألا يخجل هؤلاء هم وفروخهم من المنتسبين إلى الإسلام والطاعنين باسم

الإنسانية فى الحكم الصادر والنافذ بحق فى المجرمين السفهاء الخونة ؟

ألا يخجل هؤلاء وفروخهم المحسوبين على الإسلام حينما يتشدقون بطعونهم فى حكم الإعدام الصادر بحق ثمانمائة جرثومة ارتكبوا الخيانة العظمى ويصفونه بأنه حكم وحشى لا يتفق مع روح القرن الحادى والعشرين المتمدنة ؟

أين هؤلاء الذين يزنون بمكيالين وهم يرون ما يفعله السفهاء البربر بشعب فلسطين اليوم ؟ الدبابات والطائرات واقتحام المدن والقرى وقتل النساء والشيوخ والأطفال ومذابح جماعية فى مخيمات الفلسطينيين ؟

أين مجلس الأمن وقرارات الأمم المتحدة وكل يوم عشرات الشهداء يتساقطون تحت أنقاض بيوت الفلسطينيين أو تحصدهم المدافع الرشاشة ؟

أين المتحدثون باسم الإنسانية وحماية المدنيين العزل وحصد مئات الأرواح من غير المحاربين من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال فى فلسطين؟؟

عمليات انتحارية أم استشهادية ؟ :

لما ضرب قادة إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن عرض الحائط ولم تلق اعتبارا للرأى العام ولا للقيم الإنسانية فراحوا يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ويغتالون الشباب ويهدمون البيوت ويدمرون كل شىء قام بعض الشباب فطوقوا أجسادهم بمتفجرات واندسوا فى أماكن تجمع هؤلاء السفهاء ثم يفجرون هذه **المتفجرات فتحمل أرواح الخنازير إلى جنهم وبئس القرار، وترتفع صيحات ونهيق ونباح السفهاء :**

- إرهابيون، مخربون، ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة وماتوا كفارا منتحرين.

عندما يقومون كل يوم بل كل ساعة بقتل عشرات الشهداء يكونون غير إرهابيين ولا مخربين وأرواح هؤلاء الفلسطينيين لا تساوى عندهم شيئاً، وعندما يموت منهم كلب يصرخون ويولولون؟؟

فهل ما يقوم به هؤلاء الشباب دفاعاً عن أنفسهم ومالهم وعرضهم وأرضهم انتحاراً أم شهادة؟

يوم ما دنا الصحابى الجليل عوف بن الحرث بن عفراء من إمام الخير ﷺ وسأله :

- يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده ؟

كان عوف بن الحرث يريد أن يرضى الله ﷻ غاية الرضا فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- غمسه يده فى العدو حاسراً.

فنزع عوف درعا كانت عليه فقذفها، ثم اندفع يشق صفوف العدو وهو يقاتل بسيفه حتى خلصت إليه الجراح، وكان الدم يسيل من كل جسمه، وهو يثب وثوب الأسد الجريح، لقد وطد العزم على أن يغمس يده فى المشركين حاسرا وأن يقتل كل من يصل إليه سيفه قبل أن تصعد روحه الطاهرة إلى عليين وظل الحرث بن عوف يصول ويجول ويبحث عن الشهادة حتى هبره أحد سيوف المشركين فحمل روحه إلى جنة عرضها السماوات والأرض..

وقذف عمير بن الحمام التمرات التى كانت فى يده وقال :

- بخ بخ - كلمة تقال لتعظيم الأمر التعجب منه - ما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى الناس ؟

فتساءل سيد الأولين والآخرين ﷺ :

- لم تبخبخ ؟

قال نموذج الإيمان الصادق الذى لا يقف فى طريقه شىء :

- رجاء أن أكون من أهلها - من أهل الجنة -

ثم أخذ عمير بن الحمام سيفه وغاص فى أمواج المشركين وهو يضرب بسيفه ويقول :

ركضـــــا إلى الله بغـــــير زاد ::: إلا التقـــى وعمـــل المعـــاد
والصبـــر فـــى الله على الجهـــاد ::: وكـــل زاد عرضـــه النفـــاد
غيـــر التقـــى والبـــر والرشـــاد

فهبره سيف من أسياف المشركين.

فصعدت روحه الطاهرة إلى عليين.

فلو كان المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يعلم أن عمير بن الحمام ألقى بنفسه فى التهكلة ومات منتحرا لوقف فى وجهه ولكنه تركه ليكون شهيدا ويصيب الفردوس الأعلى.

ويوم حصار الطائف خرج رجل من الحصن واحتمل رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ودخل الحصن فقال نبى الرفاء ﷺ :

- من يستنقذه فله الجنة ؟

كان من يقدم على ذلك يعلم أن ألف سيف وآلاف السهام فى انتظاره ولكن عم رسول الله ﷺ قام فقال له الصادق المصدوق ﷺ :

- امض ومعك جبريل وميكائيل.

فمضى العباس بن عبد المطلب فحمل الرجلين معا ووضعهما بين يدى رسول الله ﷺ (رواه ابن عساكر).

ويوم اليمامة لما انهزم بنو حنيفة دخلوا حديقة فيها مسيلمة الكذاب وتحصنوا بها وأغلقوا عليهم أبوابها وأخذوا يرمون المسلمون بالنبل والسهام.

واحتار المسلمون ماذا يفعلون ؟ كيف يقتحمون حديقة الموت ؟ إن اقتحامها معناه ألف ألف سيف وآلاف الحراب والسهام فى انتظار من يقتحمها.

ولكن الإيمان الراسخ استبد بالصحابى الجليل البراء بن مالك فأخذته الرعدة التى تأخذه إذا حضر الحرب فقعد عليه أبو دجانة والطفيل بن عمرو وزيد بن الخطاب فبال البراء بن مالك وصار كالأسد فوثب وقال :

- يا معشر المسلمين، ألقونى إليهم فى الحديقة.

فقالوا :

- لا تفعل.

كانوا يعلمون أن البراء إذا ألقى فى الحديقة سيلقى حتفه ولكنه عاد يقول فى إصرار :

- والله لتطرحوننى عليهم فيها.

كان يبحث عن الشهادة.. أو النصر.

فرفعوه على لوح خشب برماحهم، فرمى بنفسه على بنى حنيفة فى حديقة الموت، شلت المفاجأة والذهول بنى حنيفة، وقبل أن يفيقوا من ذهولهم كانت يد البراء بن مالك تفتح الباب وراح يقاتل بنى حنيفة.

اندفع المسلمون كالسيل الكاسح تزلزل تكبيراتهم القلوب، وراحت سيوفهم تطيح برؤوس بنى حنيفة.

ووجد البراء بن مالك ممسكا بسيفه وبه بضع وثمانون جراحة بين رمية سهم وضربة سيف فحمل إلى رحله يداوى، وقام عليه خالد بن الوليد شهرا.

وعند أحد حصون العراق كانوا يلقون كلاليب فى سلاسل محماة، فتعلق البراء بن **مالك بأحد هذه الكلاليب حتى قطع الحبل وعندما نظر البراء بن مالك إلى يده فإذا عظامها تلوح فقد ذهب ما عليها من اللحم ولكن بعد أن فتح باب الحصن ودخله** المسلمون.

يقول الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة الثقفى :

كنا فى غزاة فتقدم رجل فقاتل حتى قتل.

فقالوا :

- ألقى بيده إلى التهلكة.

فكتب فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

فكتب الفاروق.

لئن كان كما قالوا هو من الذين قال الله فيهم**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ}** [سورة البقرة الآية : ٢٠٧] (رواه وكيع، والفريابى، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن المغيرة بن شعبة).

وقال العزيز الحكيم{**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**} [سورة التوبة الآية : ١١١].

فهنيئا لشهداء فلسطين الذين باعوا أرواحهم ليرثوا الفردوس الأعلى.

حكم بنى قريظة فى شريعتهم :

إن الحكم الذى أصدره الصحابى الجليل سعد بن معاذ على حلفائه سفهاء بنى قريظة وأقره طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ وقام بتنفيذه قد جاء تماما وفق الشريعة الموسوية عند اليهود أنفسهم فى التوارة عندهم.

فقد نص الإصحاح العشرون فى سفر الثنية من كتابهم المقدس على أن لهم قتل كل الرجال من أعدائهم إذا ظفروا بهم وامتلاك نسائهم وأطفالهم وكل ما يملكون.

فهذا هو نص الإصحاح العشرون من سفر الثنية، وإن لم تسالمك أية قرية بل حاربتك فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلـهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك إلـهك (سفر الثنية : ٢٠، ١٣ - ١٤).

وهذا النص الصريح فى كتاب اليهود المقدس يجعل هؤلاء السفهاء بالتأكيد يرون أن حقهم تنفيذ حكم الإعدام فيمن وقع فى أيديهم من أعدائهم من الرجال وسبى النساء وذراريهم ومصادرة كل ممتلكاتهم.

وهذا يعنى أن اليهود لو نجحوا فى خيانتهم ومؤامرتهم الحقيرة وتم لهم وللأحزاب محاصرة وهزيمة المسلمين يوم الخندق **لما ترددوا لحظة فى إبادة المحاربين من أصحاب لا** إلـه إلا الله وسبى نسائهم وذراريهم ومصادرة أموالهم تمشيا مع حكم كتابهم المقدس والشريعة الموسوية الذى جاء صريحا فى سفر الثنية.

ولكن القوى المتين أبى إلا يتم نوره وينصر عبده وهزم الأحزاب وحده فكانت العقوبة التى أنزلها حزب الله بالسفهاء الفجرة **هى نفس العقوبة التى كان هؤلاء السفهاء ينوون إنزالها بالجيش المحمدى لو**

وقعوا فى أيديهم.

فالحكم النازل باليهود إنما جاء تماما وفقا لشريعتهم، فهو إذن جزاء وفاقا.

وعلى ذلك لم يبق لا من الناحية الشرعية والدينية ولا الوجدانية ولا القانونية أى مجال للانتقاد فى الحكم الصادر والنافذ بحق فى سفهاء بنى قريظة.

وبالإضافة إلى كل ما ذكرنا وأوردنا من حجج لا تقبل الجدل، فإنا نقول لهؤلاء الطاعنين الحاقدين والمستبشعين لهذا الحكم : إنه مهما تقولون فى صرامة هذا الحكم وقسوته لو أن واحدا منكم كان قائدا عسكريا وتعرض هو وجيشه وأمته ووطنه لمثل ما تعرض له خاتم الأنبياء ﷺ من خطر خيانة يهود بنى قريظة وغدرهم بانقلابهم على المسلمين فى ذلك الظرف الخطر **لما وسعه إلا أن ينزل بهم على الأقل ذلك الحكم الذى أنزله الرحمة المهداة ﷺ بأولئك الخونة الغادرين.**

إنصاف الصحابي الجليل سعد بن معاذ :

ليس من الغريب أن يندفع غلاة المستشرقين والحاقدين والمأجورين فى تجريد سيد الأوس سعد بن معاذ حين أصدر حكمه العادل باستئصال سفهاء بنى قريظة، إذ أنهم خانوا الله ورسوله وتآمروا بالمسلمين فحالفوا قريشا على حرب إمام الخير ﷺ، ناقضين عهدهم الوثيق الغليظ معلنين دفائن أحقادهم الثائرة.

وصدق الذى لا يخلف وعده **فرد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا،** وحان أوان القصاص فارتضوا حليفهم سعد بن معاذ حكما، فجزاهم بما اقترفوا من العقوق **والغدر والخيانة ونقض العهد أعدل الجزاء.**

وليس من الغريب أن يندفع غلاة المستشرقين فى ذلك عن غرض جائر وهوى مريض، **إنما الغريب حقا أن يستمع إليهم بعض المنتسبين إلى الإسلام من كبار رجال القانون فيروا فى حكم سعد بن معاذ مغالات كبيرة.**

ولا أدرى كيف يقولون ذلك وقد درسوا القوانين المعاصرة دراسة نافذة، وكان فى مقدرتهم أن يطبقوها على قضية سفهاء بنى قريظة ليروا

أن قوانين القرن العشرين **والحادى والعشرين لا تختلف فى شىء عما أصدره القاضى سعد بن معاذ.**

ولكن أقوال ذوى الغرض الحاقدين الحاسدين من المستشرقين قد خدعت رجالنا عن عقولهم فنسوا ما يحفظون وتجاهلوا ما يعلمون فقد كان بين صاحب الشفاعة ﷺ وبين يهود بنى قريظة معاهدة تحفظ حقوق الفريقين وتقضى على كل فريق أن ينصر الآخر إذا واجه خطر الحرب، **ولكن السفهاء تآمروا فانضموا إلى أعداء المسلمين وأوقفوهم بين فكى الرحى فى مدينة رسول الله ﷺ مصليا بنار أعدائه المشركين من جهة واعتداء حلفائه اليهود فى ساعة العسرة من جهة ثانية.**

فاقترفوا بذلك الغدر الشنيع ثلاث جرائم :

أولا : رفع السلاح ضد سلطان المدينة مع الأحزاب المعتدين.

ثانيا : دس الدسائس لدى الأحزاب ضد المسلمين.

ثالثا : تسهيل دخول العدو المدينة ففقد الخندق حماية المدينة.

وقانون العقوبات المصرى وهو أقرب قانون يعرفه من يؤاخذون سعد بن معاذ من **رجالنا القانونيين يجعل عقوبة الإعدام لكل جريمة من الجرائم الثلاث التى ارتكبها سفهاء بنى قريظة.**

أين هؤلاء الطاعنين الحاقدين ؟:

لم نسمع نباح أحد من هؤلاء الطاعنين فى حكم سعد بن معاذ الذى حكم بحكم الله ﷻ من فوق سماوات يوم مذبحة دير ياسين أو نهيق أحدهم يوم مذبحة صبرا وشتيلا أو استنكار أحدهم يوم معسكر جنين وراملة.

أين جعجعة هؤلاء المتشدقين بمبادئ الديمقراطية والإنسانية لما يقوم به كلاب إسرائيل اليوم وإبادة شعب أعزل يسقط كل يوم بل كل ساعة عشرات الشهداء برصاص وحوش غابة إسرائيل.

كلمة حق من كاتب إنجليزي :

إذا كانت جمهرة كتاب الغرب الصليبى قد جانب الصواب وحادت عن جادة الإنصاف عندما وصفت الحكم الصادر والنافذ بحق سفهاء بنى قريظة

بالوحشية والقسوة، **فإن بعض هؤلاء الكتاب لم يخلوا من منصفين قالوا كلمة حق وأبوا الانحراف** فى تيار الهوى والحقد والعاطفة فنفوا بتجرد ونزاهة أن يكون فى ذلك الحكم السماوى أى شىء من الوحشية والهمجية، ومن هؤلاء الكاتب الإنجليزى الكبير الدكتور **مونتجمرى وات** فقد جاء فى كتابه: (محمد نبى ورجل دولة، صفحة ١٧١) وما بعدها ما يلى :

لقد انتقد بعض الأوربيين الحكم الصادر بحق بنى قريظة ووصفوه بالهمجية، ولقد اندهش بعض معاصرى محمد ﷺ لعدم اكتراثه بالعواقب التى قد تنتج عن قتل بنى قريظة، **إلا أن عمل هذه القبيلة أثناء محاصرة المدينة كان يعتبر ناقضا للمعاهدة المبرمة مع محمد ﷺ.**

ثم ينفى الدكتور مونتجمرى وات ما ألصقه بعض المستشرقين بالنبى ﷺ من اتهامات باطلة فيقول :

ولا داعى للافتراض بأن محمداً ﷺ قد ضغط على سعد بن معاذ لينزل هذه العقوبة ببنى قريظة فإن رجلا بعيد النظر كسعد يبد أنه أدرك طغيان الولاء القبلى على الولاء الإسلامى سيجدد المعارك الدموية التى جاءوا - أى الأوس والخزرج - بمحمد ﷺ لينقذهم منها.

ويقال :

أنه عندما مثل سعد أمام محمد ﷺ لينفذ حكمه أشار سعد إلى أن قرب نهايته - كان مصابا بسهم ابن العرقة يوم الخندق - تحتم عليه أولاً القيام بواجبه تجاه ربه والجماعة الإسلامية حتى على حساب الأحلاف القديمة.

ثم يشير الكاتب الإنجليزى إلى حكمة رسول الله ﷺ فى اختيار حليف اليهود سعد **ابن معاذ ليحكم فيهم، ويستدل من ذلك على بعد النبى ﷺ عن الديكتاتورية التى اتهمه بها خصومه فيقول دكتور مونتجمرى وات :**

إن تعيين سعد بن معاذ من قبل محمد ﷺ لم يكن يقصد به التستر وراء سلطة ديكتاتورية، لم يكن محمد ﷺ يملكها فى ذلك الوقت، بل كانت محاولة لمعالجة مشكلة عويصة بأحصف وأحذق طريقة ممكنة.

ثم يؤكد الدكتور مونتجمرى وات بأن الحكم النافذ فى حق بنى قريظة لم ينفذ **لأنهم يهود بل لأنهم خونة ارتكبوا الخيانة العظمى فيقول :**

لم تبق قبيلة يهودية ذات أهمية بالمدينة بعد القضاء على بنى قريظة،

بل كانت هناك بعض الجماعات الصغيرة.

وتشير بعض الروايات إلى أن أحد أثرياء اليهود قد اشترى بعض نساء وأطفال بنى قريظة، ولا شك أن اليهود الذين تخلفوا فى المدينة كانوا على جانب كبير من الحذر فلم يمتنعوا عن بعض النشاطات المادية فحسب، بل عن بعض الأنشطة الاجتماعية، غير أن عواطفهم بلا شك كانت مع إخوانهم اليهود فى خيبر.

إن استمرار وجود بعض اليهود فى المدينة يمكن أن يعتبر دليلا ضد وجهة نظر بعض العلماء الاوربيين التى تقول :

إن محمدا ﷺ انتهج فى السنة الثانية من الهجرة سياسة إبادة جميع اليهود فى المدينة لمجرد كونهم يهود وأن هذه السياسة أخذت تزداد عنفا.

ويقول الدكتور مونتجمرى وات :

إلا أن محمدا ﷺ لم يكن طبيعته سلوك مثل هذه السياسة، فقد كان يتمتع بنظرة معتدلة لأسس المشاكل المعاصرة ولسياسة طويلة الأمد يكون على ضوئها سياسته بموجب العوامل.

أما بالنسبة لهجومه على القبيلتين اليهود فقد كانت مجرد فرصة مواتية غير أنه كانت **هناك بعض الأسباب العميقة فقد كان اليهود من جانبهم يحاولون زعزعة المجتمع الإسلامى بانتقاداتهم الموجهة ضد الوحى القرآنى، كما أنهم كانوا يمنحون تأييدهم السياسى لأعداء محمد ﷺ ومناوئيه من المنافقين، وقد سمح لهم محمد ﷺ مع هذا بالعيش فى المدينة** دون أن يمسهم منه أى أذى.

اليهود وصلح الحديبية :

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى المصطلق شهر رمضان وشوالا وخرج فى ذى القعدة من العام السادس للهجرة **معتمرا لا يريد حربا**، واستنفر خاتم الأنبياء ﷺ العرب ومن حوله من أهل الوادى من الأعراب **وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثيرا من الأعراب.**

وخرج السراج المنير ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب فكان الناس سبعمائة رجل وساق الهدى فكانت كل بدنة عن

عشرة نفر.

وقيل :

كانوا ألف وخمسمائة وعشرون رجلا وأحرم معه ﷺ زوجه أم المؤمنين أم سلمة.

وصدت قريش أبا القاسم ﷺ والذين معه فلجأ إلى الحديبية.. فكان صلح الحديبية الذى ينص على :

١- وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

٢- من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه، ومن أتى قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه.

٣- بينهما عيبة - مكفوفة - صدر نقى من الغل والخداع مطويا على الوفاء -، وأنه لا إسلال.

الأسلال : السرقة الخفية، وقيل سل السيف، سل الشىء بالليل خلسة - ولا أغلال

الأغلال: الخيانة.

٤- من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثب خزاعة وقالوا :

- نحن فى عقد محمد وعهده.

وتواثبت بنو بكر وقالوا :

- نحن فى عقد قريش وعهدهم.

٥- يرجع محمد ومن معه هذا العام فلا يدخل مكة، على أن يدخلها هو وأصحابه عام قابل فتخرج قريش عنها ويدخلها محمد بأصحابه ويقيم بها ثلاثة أيام ومعه سلاح الراكب، السيوف فى القرب لا يدخلها بغيرها.

وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا يرون أن البند الثانى كان مجحفًا فقد أنزل العليم الخبير **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}** [سورة الفتح الآية : ١].

فنسوا أن قريشا قد صدتهم عن المسجد الحرام عندما أخبرهم الصادق المصدوق ﷺ أن هذا فتح، ووعدهم الذى لا يخلف الميعاد بفتح

خيبر{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} [سورة الفتح الآية: ٢٠].

فكان هذا الوعد الحق من الله ﷻ تطمينا للمسلمين وتثبيتا لعزائمهم، فلم يعد لأحد منهم شك أن القوى العزيز سيفتح عليهم خيبر ويجعلها بواحاتها الخضراء الواسعة وحدائقها النضرة غنيمة لهم.

وكان اليهود فى خيبر يطوون أفئدتهم على البغضاء لنبى الوفاء ﷺ، وكانوا **كالأفاعى فى الجحور يتحينون الفرص ليطعنوا الإسلام طعنة فى الصميم، فلما عاد** المسلمون بعد صلح الحديبية إلى المدينة دون أن تسمح لهم قريش بدخول مكة والطواف حول البيت، ظن اليهود أن نبى الإسلام ﷺ لم يقبل شروط صلح الحديبية المجحفة بالمسلمين إلا لوهن دب فى كيان ملكه، فأرادوا أن يستغلوا ذلك الضعف فبعثوا إلى غطفان ليؤلبوهم على حرب خاتم الأنبياء ﷺ.

وجاء الخبر إلى الرحمة المهداة ﷺ أن خيبر تتأهب لقتاله والسير إليه وكان إمام **المجاهدين ﷺ إذا علم أن قوما يتأهبون لقتاله لم ينتظر حتى يقتحموا المدينة بل يسرع بالسير إليهم ويفرق جمعهم فى عقر دارهم.**

لم ينتظر حبيب الرحمن ﷺ أن يفاجأه السفهاء وحلفاؤهم بهجومهم، فاستنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه.

ففرح المسلمين فقد كانوا حريصين كل الحرص على الجهاد فى سبيل الله الذى هو السبيل الوحيد لنيل أعلى الدرجات عند الله ﷻ عن طريق الاستشهاد فى سبيله.

وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال الصادق المصدوق ﷺ:

- لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد، فأما الغنيمة فلا.

ثم أمر منادينا ينادى بذلك.

فنادى به.

نموذج من الديمقراطية الصحيحة :

كان فى مدينة رسول الله ﷺ بقية من اليهود لم تنلهم يد العقوبة التى نالت بنى قريظة الخونة الغادرين **لأن هذه البقية من اليهود لم يكن لها يد فى الغدر** التى أقدمت عليه بنو قريظة، **ولهذا لم يتعرض لهم صاحب**

الخلق العظيم ﷺ لا بنفى ولا بقتل ولا بحبس، فظلوا فى المدينة أحرارا فى ذمة وعهد المسلمين.

إلا أن هؤلاء السفهاء بالرغم من المعاملة الحسنة العادلة التى يعاملهم بها المسلمون **ظل هواهم مع إخوانهم يهود خيبر، بل لم يتورعوا عن التخريب والتعصب لهم داخل المدينة علنا.**

فلما علم هؤلاء اليهود الذين ظلوا فى المدينة وفى عهد وذمة المسلمين - بعد تأديب بنى قريظة - لما علموا بتجهيز المسلمين لغزو خيبر شق عليهم ذلك لأنهم موقنون أن احتلال المسلمين لخيبر يعنى إنهاء الوجود اليهودى الدخيل فى الجزيرة، فلم يجدوا مانعا من التعبير عن عطفهم على يهود خيبر وامتعاضهم من المسلمين لاعتزامهم الزحف على خيبر.

إحراج اليهود للمسلمين :

كان اليهود أصحاب ثروات كبيرة، وكان المسلمون يقترضون منهم لقلة ما بأيديهم من الأموال فلم يكاد أحد من المسلمين يسلم من أن يكون عليه دين ليهودى فى المدينة، وقد استغل اليهود ذلك لصالح يهود خيبر، فحاولوا تعويق ومنع المسلمين عن **الغزو بمطالبتهم فورا بتسديد ما عليهم من ديون قبل حلول الموعد المتفق عليه.**

ولم يكتف يهود المدينة بذلك بل أخذوا يسخرون من قوة المسلمين الذين هم فى ذمتهم وتحت سلطانهم وقالوا :

- تحسبون أن قتال خيبر مثلما تلقونه من الأعراب ؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل.

فقال المسلمون :

- أى أعداء الله تخوفوننا بعدونا وأنتم فى ذمتنا وجوارنا ؟

وسخر يهودى من قوة المسلمين وعظم من قوة يهود بنى خيبر وتمنى لهم النصر على المسلمين وخوفهم بعددهم وعديدهم حتى أغضب أحد جنود الإسلام، وعندما رفع هذا الجندى أمره إلى المبعوث للناس كافة ﷺ لم يتخذ معلم البشرية ﷺ أى إجراء **ضد هذا اليهودى، بل أمر الرجل المسلم أن يدفع إلى اليهودى ما عليه من دين قبل أن يشتكى وقال له :**

- أعطه حقه.

فهل يرى أدعياء الديمقراطية فى هذا العصر شرقيين كانوا أم غربيين أنهم يستطيعون معاملة من يخالفهم فى العقيدة والمذهب والاتجاه ممن تحت سلطانهم معاملة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لهذا اليهودى ؟؟؟

يهود المدينة يتجسسون على المسلمين :

لم يكتف يهود المدينة بالتعبير عن عطفهم على يهود خيبر والتعصب لهم ومحاولة تعويق المسلمين عن الغزو بمطالبتهم فورا بتسديد ما عليهم من ديون، بل بعثوا بأعرابى من أشجع استأجروه ليحمل إلى قادة يهود خيبر كل ما يحتاجون من معلومات عن الجيش الإسلامى ويطلبون منهم الصمود فى وجه المسلمين، وقد وقع هذا الجاسوس فى قبضة دورية الجيش الإسلامى التى كانت تقوم بالاستطلاع.

المنافقون طابور اليهود الخامس :

كان يهود خيبر ليسوا بحاجة إلى أن يبعثوا بالأرصاد والجواسيس لينقلوا إليهم حقيقة الموقف فى مدينة رسول الله ﷺ وليبلغونهم كيف ومتى يعتزم النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ التحرك بجيشه لغزوهم؟

فقد كان الباطنيون من المنافقين الذين يحملون الهوية الإسلامية فى الظاهر والمقيمون بين أظهر المسلمين، كان هؤلاء المنافقون بمثابة الرتل الخامس العامل لحساب يهود خيبر بين صفوف المسلمين فى مدينة رسول الله ﷺ فمنذ بزغت شمس الإسلام وحمله أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس إلى يثرب كان هؤلاء المنافقون يضعون **أيديهم فى أيدى اليهود ويشكلون فى المدينة جبهة قوية مناوشة للإسلام والمسلمين.**

اليهود يمثلون المعارضة الصريحة والمعاداة، والمنافقون يقفون وراء هؤلاء السفهاء كعناصر سرية مساندة تشجعهم على التحرش بالمسلمين وتشد من عضدهم، بل وتمد إليهم يد العون المادى والأدبى جهرا إن أمكن وسرا إذا لم يمكن الجهر.

استعداد اليهود للمواجهة :

كان يهود خيبر منذ فشل خطة غزو الأحزاب التى هى من وحى اليهود وتدبيرهم فى السنة الرابعة من الهجرة يتوقعون أن يقوم المسلمون بتأديبهم عن طريق حرب وقائية شاملة، ولذلك كانوا يستعدون للمواجهة

بصفة عامة، إلا أنهم ما كانوا يعلمون على **وجه التحديد متى سيتحرك الجيش الإسلامى لغزوهم ؟؟**

إلا أنهم بعد أن تلقوا عن طريق عملائهم المنافقين فى المدينة كافة التفاصيل الدقيقة عن مدى قوة المسلمين، أخذوا فى التهيؤ والاستعداد للمواجهة وعلى أوسع نطاق وبصورة جديدة، فحشدوا كافة قواهم العسكرية واتخذوا كافة الإجراءات التى يرونها ضرورية لمواجهة هذا الغزو، وكانت خطتهم الأساسية خطة دفاعية محضة بالرغم من تفوقهم على المسلمين تفوقا كبيرا فى كل شىء مادى فلديهم حصون وقلاع منيعة، ووضعوا النساء والذرارى فى الحصون الخلفية، ولم يسمحوا لأحد أن يبقى فى الحصون والقلاع الأمامية غير حملة بالسلاح الذين امتلأت بهم ساحات وأبراج هذه الحصون.

اختلافات قادة اليهود فى وضع الخطط :

عندما أحس قادة السفهاء بمسير الذى جعل الله له الأرض مسجدا وطهورا ﷺ إليهم بجيشه عقدوا مجلسا عسكريا تبادلوا فيه الرأى حول أفضل الخطط التى يجب اتباعها لمواجهة جيش الإسلام.

وأثناء بحث هذا الموضوع انقسم قادة اليهود إلى ثلاث فئات :

فئة ترى أن تتحصن اليهود فى الحصون والقلاع ويقاتلوا المسلمين من وراء الأسوار بحجة أن ذلك يضجر المسلمين فيجبرهم فى النهاية على الانسحاب دون أن يقدروا على اقتحام الحصون لمناعتها وكثرة المقاتلين فيها.

وفئة ترى أن يهود خيبر يعسكروا خارج الحصون والقلاع ويواجهوا المسلمين فى العراء فيخوضوا معهم معركة فاصلة خاطفة بدلا من التحصن داخل الحصون والقلاع.

أما الفئة الثالثة فقد ذهبت فى الجرأة إلى أبعد مما ذهبت إليه الفئة الثانية فقد اقترحت هذه الفئة **غزو المسلمين فى المدينة وضربهم فيها** قبل أن يتحركوا بقواتهم نحو خيبر وكان سلام بن مشكم النضرى قائدا عاما لقوات يهود خيبر وكان يقال له صاحب حربهم فقال :

- هذا كله عمل حيى بن أخطب أشأمنا أولا، وخلفنا فى الرأى،

فأخرجنا من أموالنا وشرفنا - كان سلام بن مشكم مع منصبه القيادى الحربى حبرا من أحبار يهود، وكان يعلم أن محمدا ﷺ رسول من عند الله، وكان الزعيم اليهودى الوحيد الذى عارض فكرة اغتيال حبيب الرحمن ﷺ فى ديار بنى النضير بالمدينة ولكن معارضته رفضت واتبع بنو النضير رأى حيى بن أخطب وحاولوا اغتيال خاتم الأنبياء ﷺ وكان ذلك من أسباب نفيهم من المدينة - وقتل إخواننا - يعنى بنى قريظة الذى غرر بهم حيى ابن أخطب فخانوا عهد المسلمين - وأشد من القتل سبى الذرية، لا قامت يهود بالحجاز أبدا، ليس لليهود عزم ولا رأى.

فقالوا :

- وما الرأى يا أبا عمرو ؟

فقال سلام بن مشكم :

- وما تصنعون برأى لا تأخذون منه حرفا ؟

قال كنانة بن أبى الحقيق :

- ليس هذا بحين عتاب، فقد صار الأمر إلى ما ترى.

قال سلام بن مشكم :

- محمد قد فرغ من يهود يثرب وهو سائر إليكم فنازل بساحتكم، وصانع بكم ما صنع ببنى قريظة.

فعادوا يتساءلون:

- فما الرأى ؟

قال سلام بن مشكم :

- نسير إليه بمن معنا من يهود خيبر، فلهم عدد، ونستجلب يهود تيماء وفدك ووادى القرى، ولا نستعين بأحد من الأعراب، فقد رأيتم فى غزوة الخندق ما صنعت بكم العرب - يعنى غطفان - بعد أن شرطتم لهم تمر خيبر نقضوا ذلك وخذلوكم، وطلبوا من محمد بعض تمر الأوس والخزرج ينصرفون عنه.

ثم عاد سلام بن مشكم وجدد دعوته إلى غزو المدينة قبل أن يزحف الجيش الإسلامى إلى خيبر وقال :

- نسير إليه - أى النبى ﷺ - فى عقر داره فنقاتل على وتر حديث

وقديم.

فمال أكثر قادة خيبر إلى رأى سلام بن مشكم قائلين :

- هذا هو الرأى.

ولكن ملك اليهود كنانة بن أبى الحقيق عارض فكرة غزو المدينة التى أبداها سلام ابن مشكم وقال :

- إنى قد رأيت وأخبرتهم فرأيتهم أشد عليه - أى ﷺ - وحصونهم هذه ليست مثل ما هناك - يعنى يثرب- ومحمد لا يسير علينا أبدا لما يعرف.

فغضب سلام بن مشكم لمعارضة كنانة بن أبى الحقيق لاقتراحه وقال بحدة:

- هذا رجل لا يقاتل حتى يؤخذ برقبته.

خيبر تستنجد بأعراب نجد:

على أثر المعلومات التى تلقاها يهود خيبر من عملائهم المنافقين واليهود فى مدينة رسول الله ﷺ والتى تفيد أن أبا القاسم ﷺ قد قرر الزحف على خيبر، سارع يهود خيبر إلى طلب النجدة من أصدقائهم القدامى وجيرانهم أعراب نجد، فبعثت خيبر بوفد من زعمائها ليطوف على هذه القبائل الوثنية ويطلب منها النجدة والمساعدة لمواجهة الجيش الإسلامى الذى يعتبره الفريقان عدوا مشتركا.

وكان هذا الوفد مكونا من أربعة عشر رجلا على رأسهم كنانة بن أبى الحقيق ملك خيبر الجديد، هوذة بن قيس الوائلى أحد قادة اليهود البارزين.

وطاف هذا الوفد على قبائل غطفان الوثنية طالبا منها مده بقوات كبيرة ترابط إلى جانب يهود خيبر لمواجهة المسلمين.

فلم تتردد هذه القبائل الوثنية فى الاستجابة لطلب يهود خيبر وخاصة : غطفان وبنى أسد فقد بعثوا بعدة كتائب من رجالهم بقيادة عيينة بن حصن الفزارى على رجال غطفان، وطليحة بن خويلد الأسدى على بنى أسد.

فأصبحت مهمة شاقة وعسيرة على المسلمين أن يقوموا بها وتغلب هذه القلة من المسلمين المكشوفين فى العراء على تلك الكثرة الهائلة، المتحصنة خلف تلك القلاع والحصون المنيعة هو نوع من المعجزات إن صح هذا التعبير.

رفض بنى مرة أن ينجدوا اليهود:

إذا كانت قبائل غطفان وبنى أسد قد استجابت لنداء يهود خيبر فإن بنى مرة بناء على نصيحة سيدها الحارث بن عوف المرى الذى نصحها **بأن لا تتورط فى مساندة يهود** خيبر كما تورطت فى الاستجابة لوساوسهم حين شاركوا الحلف اليهودى الوثنى يوم الأحزاب فكانت حربا خاسرة ولم يكتف الحارث بن عوف بذلك بل نصح صاحبه عيينة بن حصن الفزارى **ألا يستجيب لنداء يهود خيبر** وأبلغه صراحة أنه إن فعل إنما يأتى عبثا ويرتكب خطأ وإن محمدا ﷺ سيظهر عليهم وأنه سيملك الأرض جميعا.

تحرك الجيش الإسلامى نحو خيبر:

بينما كان يهود خيبر يعدون لمواجهة المسلمين ويتصلون بحلفائهم من قبائل نجد الوثنية لإنجادهم، كان المسلمون فى مدينة رسول الله ﷺ يهيئون أنفسهم ويستكملون تجهيزات جيشهم للمعركة التى قرر المبعوث كافة ﷺ خوضها مع يهود خيبر لإنهاء وجودهم الدخيل فى الجزيرة كلها.

وبعد أن أكمل إمام الخير ﷺ حشد جيشه وإعداده فى المدينة خرج به فى اتجاه خيبر وكان ذلك فى **أوائل شهر محرم من السنة السابعة للهجرة.**

وكان جيش المسلمين نحو ألف وأربعمائة مقاتل كلهم حضر الحديبية، وكان بينهم مئتا فارس.

وكان هذا أكبر عدد من الفرسان يتوفر لدى المسلمين فى جيش يغزون به فى تاريخهم حتى ذلك اليوم.

وقبل أن يتحرك النبى الخاتم ﷺ بجيشه من المدينة كون وحدة للاستكشاف والاستطلاع كلها من الفرسان بقيادة الصحابى الجليل **عباد بن بشر الأنصارى**، وقد كانت مهمة هذه الوحدة أن تنطلق أمام الجيش الإسلامى لارتياد المسالك والطريق، وكشفها أمام الجيش الزاحف للتأكد من خلوها من كمائن اليهود وجواسيسهم والتعرف على أخبارهم.

كما أن الصادق المصدوق ﷺ وأصحابه كانوا يجهلون المسالك والطرق المؤدية إلى خيبر ولا يعرفون شيئا عن طبيعة البلاد التى سيمرون بها، فقد استعانوا بأدلاء خبيرين بتلك الأرض ومسالكها ليدلوا الجيش حتى يصل إلى خيبر، وكان من بين هؤلاء الأدلاء **حسيل بن خارجة، وعبد الله بن نعيم وكلاهما من قبيلة أشجع** النجدية التى كان رجالها دائما يرتادون فى الجاهلية منطقة خيبر.

وأثناء قيام عباد بن بشر ووحدته بأعمال الاستكشاف أمام الجيش النبوى ألقوا القبض على **رجل من أشجع** بعد أن اشتبهوا فيه بأنه جاسوس ليهود خيبر، وقد أنكر الأشجعى أول الأمر أن يكون جاسوسا إلا أن التحقيق الذى أجراه معه عباد بن بشر حمله على الاعتراف بتجسسه لحساب اليهود.

خاتم النبيين ﷺ يطلب من غطفان عدم مناصرة يهود خيبر:

اتفق اليهود والمرتزقة من غطفان بأن تقوم قبائل غطفان بمساندة اليهود ضد المسلمين عسكريا حسب الخطة الآتية:

تبعث غطفان بمجموعة من رجالها المسلحين إلى اليهود ليكونوا معهم فى حصونهم وقد فعلوا ذلك فقد أرسلوا عدة كتائب بقيادة عيينة بن حصن الفزارى وطليحة بن خويلد الأسدى وحذيفة بن بدر الفزارى.

أن يقوم أربعة آلاف مقاتل من غطفان بحركة التفاف على المسلمين لضربهم من الخلف عندما يكونون قريبين من خيبر.

وقد تعهد زعماء يهود خيبر لغطفان بأن يمنحوهم نصف ثمار خيبر مقابل هذه المساندة العسكرية ضد المسلمين.

ونفذ الغطفانيون البند الأول من الاتفاقية قبل أن يتحرك الجيش الإسلامى من المدينة إذ وصلت إلى خيبر كتائب من جيوش غطفان وبنى أسد بقيادة عيينة وطليحة وحذيفة ورابطت هذه القوات مع اليهود داخل حصونهم وقلاعهم.

وأما البند الثانى من الاتفاقية فقد شرع الوثنيون فى تنفيذه عندما وصل الجيش المحمدى إلى ضواحى خيبر فتحركت من خلفهم أربعة آلاف مقاتل من غطفان بقصد الالتفاف على المسلمين **لقطع خط الرجعة عليهم وجعلهم بين نارين.**

ولاشك أن هذا قد أوقع الجيش الإسلامى فى موقف حرج، وخاصة إذا أخذنا فى **الاعتبار أن قوة المسلمين لا تزيد عن ألف وأربعمائة مقاتل يقابلها أحد عشر ألف مقاتل هى فى انتظارهم داخل الحصون والقلاع فى خيبر وأربعة آلاف مقاتل بدأت فى التحرك** لتقطع خط رجعتهم من الخلف، بل وتهاجمهم قبل أن يبدأوا هم الهجوم على اليهود.

ونظرا للموقف الخطير الذى صارت إليه القوات الإسلامية قبل بدئها الهجوم على خيبر، فقام الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ كقائد عسكرى مسئول بالاتصال بقادة قبائل غطفان ونصحهم بأن يلتزموا الحياد فى الصراع الذى سيدور بينه وبين يهود خيبر وأبلغهم - مؤكدا لهم - بأن الله ﷻ سيفتح عليه خيبر لا محالة لأنه وعده بذلك ووعده لن يخلفه -.

وبعث المبعوث رحمة للعالمين ﷺ إلى غطفان وبنى أسد رسالة قال فيها :

أن خلوا بينى وبين القوم - يهود خيبر - فإن الله قد وعدنى أن يفتحها لى - أى خيبر -.

وقال المؤرخون :

إن النبى ﷺ ليجنب جيشه خطر مؤازرة قبائل غطفان وبنى أسد ليهود خيبر ضده أبلغ رؤساء هذه القبائل بأنه على استعداد بأن تكون خيبر لهم، إن هم أسلموا وخلوا بينه وبين هؤلاء اليهود.

وبعض المؤرخين ذكر :

أنه لم يشترط إسلامهم، **بل طلب منهم التزام جانب الحياد** فلا يعينوا يهود خيبر عليهم على أن يعطيهم مقابل ذلك نصف ثمار خيبر بعد فتحها.

إلا أن رؤساء قبائل غطفان قد ركبهم الغرور حين رأوا تلك القوات الضاربة منهم ومن حلفائهم اليهود.. **خمسة عشر ألف مقاتل على وشك الإحاطة بألف وأربعمائة من المسلمين بعيدين عن حاضرتهم المدينة.**

لقد ظن الحلف الوثنى اليهودى أنهم الغالبون لا محالة هذه المرة وأنها ستكون حرب أحزاب ظافرة ضد المسلمين لا كحرب الخندق الأولى التى اشتركت فيها قريش وقريظة والتى كانت نتيجتها الفشل.

لذلك رفض رؤساء هذه القبائل كل العروض النبوية وأبوا أن يلتزموا الحياد، فأبلغوا أبا القاسم ﷺ أنهم لن يتخلوا عن حلفائهم اليهود وأنهم سيقاتلون معهم وإلى جانبهم.

الانتصار بالرعب:

نتيجة إصرار غطفان وبنى أسد على محاربة المسلمين إلى جانب يهود خيبر أصبح الموقف بالنسبة للمسلمين **موقفا دقيقا وحرجا،** إلا أن ذلك لم يفت فى عضدهم ولم يثنهم عن عزمهم فقد استمروا فى تحركهم فى اتجاه خيبر **واثقين من نصر الله ﷻ وقد وعدهم ذلك، والله لن يخلف وعده.**

سار المسلمون فى طريقهم نحو المعركة الفاصلة وكلهم ثقة وإيمان واطمئنان فلم تكن تلك القوات الضاربة من الحلف الوثنى اليهودى لها أى أثر على معنوياتهم الحربية، لأنهم بعد وعد العزيز الحكيم الذى وعدهم لم يعودوا يزنوا الأمور ويقيسوها بموازين ومقاييس مادية أو موازين الأرض، وإنما قاسوها حسب موازين السماء واعتمادا على القوى المتين الذى لم يكن تحركهم من المدينة إلا فى سبيل مرضاته ولإعلاء كلمته.

ولهذا كانت نفس كل واحد من المسلمين مشحونة بطاقات روحية هائلة تجعله فى قرارة نفسه موقنا بأنه قادر على أن يواجه بمفرده مائة من أعدائه ويتغلب عليهم.

وقبل أن يحدث أى اشتباك مسلح بين المسلمين وأعدائهم بدت بشائر النصر للمسلمين تلمع فى الأفق فقد خرجت قوات غطفان التى بلغت أربعة

آلاف مقاتل تسير خلف جيش المسلمين وهم سائرون إلى خيبر وتتعقبهم قاطعة عليهم خط الرجعة ومقررة الهجوم عليهم من الخلف لإرباكهم وجعلهم بينها وبين حلفائها من يهود الهدف الرئيسى لتحركات الجيش الإسلامى فإذا بقادة قوات غطفان وبنى أسد يسمعون من خلفهم يصيح فيهم منذرا :

إن المسلمين قد أغاروا على دياركم ومضاربكم وإنهم على وشك استياق أموالكم وسبى نسائكم وذراريكم.

وقيل :

إن جيش غطفان وبنى أسد بعد أن ساروا مرحلة خلف جيش المسلمين سمعوا خلفهم أصواتا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى **أهليهم، وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين يهود خيبر.**

كما سمع جيش غطفان وبنى أسد الذين كانوا فى حصون وقلاع يهود خيبر نفس الصائح فانسحبوا وتركوا السفهاء وحدهم.

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- نصرت بالرعب مسيرة شهر.

قال عيينة بن حصن الفزارى :

إنا فى حصن النطاة بعد هدأة - الهدأة : أول الليل - إذ سمعنا صائحا يصيح : لا ندرى من السماء أو من الأرض :

- أهليكم أهليكم بحيفاء - صيح ثلاثة - فلا تربة ولا مال.

فقال الحارث بن عوف المرى :

- يا عيينة، والله لقد غبرت - أى بقيت - إن انتفعت، والله إن الذى سمعت لمن السماء والله ليظهرن محمد على من ناوأه حتى لو ناوأته الجبال لأدرك منها ما أراد.

فأقام عيينة بن حصن أياما فى أهله ثم دعا أصحابه للخروج إلى نصر اليهود - كان يطمع فيما يأخذه من تمر خيبر - فجاءه الحارث بن عوف المرى وقال له :

- يا عيينة، أطعنى وأقم فى منزلك ودع نصر اليهود، مع أنى لا أراك ترجع من خيبر إلا وقد فتحها محمد.

فأبى عيينة أن يقبل قول الحارث بن عوف وقال :

- لا أسلم حلفائى لشىء.

علوتم وما أنزل على موسى، غلبتم يا معشر يهود :

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- لأبعثن غدا رجلا يحب الله، ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله على يديه، ويأخذها عنوة.

فلما أصبح المسلمون غدوا على أبى القاسم ﷺ كلهم يرجو أن يعطيه الراية.

فتساءل حبيب الرحمن ﷺ :

- أين على بن أبى طالب ؟

فقال أحد الصحابة :

- تركناه يشتكى عينيه.

فذهب سلمة بن الأكوع وجاء بأبى الحسن على بعير له حتى أناخ قريبا من طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ فسأله :

- مالك ؟

قال على :

- رمدت - أصاب الرمد عينى - بعدك.

فقال نبى الرحمة ﷺ :

- ادن - اقترب - منى.

فلما دنا أبو الحسن من صاحب الخلق العظيم ﷺ تفل فى عينيه فشفى، ثم أعطاه الراية فنهض بها ثم سار خطوات وتساءل :

- يا رسول الله : علام أقاتل؟

قال صاحب لواء الحمد ﷺ :

- حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم.

فحمل على بن أبى طالب الراية وتقدم.

وتبع أصحاب رسول الله ﷺ أبا الحسن يهرولون خلفه حتى ركز رايته فى رضم - حجارة مجتمعة - من حجارة حصن ناعم، فأطل يهودى من رأس الحصن وتساءل :

- من أنت ؟

قال أبو الحسن :

- أنا على بن أبى طالب.

فقال اليهودى:

- علوتم وما أنزل على موسى، غلبتم يا معشر يهود.

وخرج أهل حصن ناعم يتقدمهم الحارث أخو مرحب.

والتقى الجمعان ودار قتال رهيب وانطلق على بن أبى طالب إلى الحارث فضربه بسيفه فأطاح برأسه فكبر المسلمون، وانتهى أبو الحسن إلى باب الحصن فاقتلعه، وألقاه على الأرض، فلما رأى ذلك ألقى الله ﷻ فى قلوبهم الرعب فانهزموا وانداحوا بين يدى جند الإسلام كما ينداح

الورق اليابس أمام العاصفة فى فصل الخريف فتعالت صيحات التكبير.

اليهودى الذى طلب الأمان فأعطيه :

قرب انهيار مقاومة خيبر فى حصن ناعم، وبينما كان عمر بن الخطاب يقوم بأعمال الدورية ليلا ألقى رجاله من الحرس القبض على رجل من اليهود فأتى به إليه، فأمر عمر أن تضرب عنقه ظنا منه أنه جاسوس لليهود، ولكن اليهودى قال لابن الخطاب :

- اذهب بى إلى نبيكم حتى أكمله.

فصحبه عمر إلى أبى القاسم ﷺ فسأل اليهودى :

- ما وراءك ومن أنت ؟

قال اليهودى:

- تؤمنى يا أبا القاسم وأصدقك ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- نعم.

قال اليهودى واسمه سماك:

- خرجت من حصن النطاة من عند القوم وليس لهم نظام، تركتهم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة.

فسأل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ اليهودى :

- فأين يذهبون ؟

قال سماك :

- إلى أذل إلى الشق - منطقة محصنة ذوات حصون تقع فى القسم الأول من مدينة خيبر - وقد رعبوا منك حتى أن أفئدتهم لتخفق، وهذا حصن اليهود فيه السلاح والطعام والودك - الشحم والسمن والدهن - وفيه آلة حصونهم التى كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضا قد غيبوا ذلك فى بيت

حصنهم - حصن الصعب - تحت الأرض.

قال صاحب الشفاعة ﷺ لليهودى :

- وما هو ؟

قال سماك :

- منجنيق مفككة، ودبابتان وسلاح من دروع وبيض وسيوف، فإذا دخلت الحصن غدا، وأنت تدخله.

قال حبيب الرحمن ﷺ :

- إن شاء الله.

قال سماك:

- أوقفك عليه - أى مستودع الأسلحة السرى - فإنه لا يعرفه أحد من اليهود غيرى.

ثم قال اليهودى :

- وأخرى.

قال الهادى البشير ﷺ :

- ما هى ؟

قال سماك :

- تستخرجه - أى السلاح - ثم انصب المنجنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصن الكتيبة - بفتح الكاف - إحدى مناطق خيبر الغنية بالزراعة وفوقها حصون حربية لليهود.

فقال عمر بن الخطاب :

- يا رسول الله إنى أحسبه قد صدق.

فقال سماك :

- يا رسول الله احقن دمى.

- فقال نبى الوفاء ﷺ :

- أنت آمن.

قال اليهودى :

- ولى زوجة فى حصن النزار فهبها لى.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- هى لك.

وسأل نور الظلمة ﷺ اليهودى :

- ما لليهود حولوا ذراريهم من النطاة ؟

قال سماك :

- جردوها للمقاتلة وحولوا الذرارى إلى حصن الشق وحصن الكتيبة.

ودعا السراج المنير ﷺ اليهودى إلى الإسلام فقال :

- انظرنى - أمهلنى - أياما.

ففعل خاتم الأنبياء ﷺ، وترك اليهودى وشأنه حرا.

وانشغل صاحب لواء الحمد ﷺ بإدارة دفة المعارك.

الاستيلاء على خيبر :

تحرك عيينة بن حصن الفزارى بمن أطاعه من غطفان محاولا إمداد يهود خيبر ومساندتهم ضد المسلمين، إلا أنه لم يصل خيبر حتى وجد الصادق المصدوق ﷺ قد فتحها واستولى عليها.

وعندما وضعت الحرب أوزارهاواستولى المسلمون على جميع حصون خيبر وكان آخرها حصن النزار.

أسلم سماك اليهودى بعد أن وفى له نبى الوفاء ﷺ بما وعده فأعطاه زوجته - كان **اسمها نفيلة وكانت مع نساء اليهود وذراريهم فى حصن النزار.**

يقول كعب بن مالك - أحد شعراء الرسول الله ﷺ وفيه نزل قوله تعالى بعد أن تخلف عن غزوة تبوك**{وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** [سورة التوبة الآية : ١١٨]، فالثلاثة الذين خلفوا هم : كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة.

- رأيت اليهودى سماك يأخذ بيد امرأة حسناء - نفيلة.

معدات وأسلحة يستولى عليها المسلمون :

بالإضافة إلى المواد الغذائية الكثيرة من التمر والودك والسكر والسمن والشعير والماشية - التى استولى عليها المسلمون فقد وجدوا تحت الأرض مدفونا آلات حربية وأسلحة كثيرة مختلفة بينها دروع وسيوف ومنجنيقات - وهى آلات قاذفة مهمتها تدمير القلاع والحصون كما وجدوا دبابات حربية - وهى آلات من حديد على شكل صفائح كبيرة العرض والطول تصنع ليتقدم خلفها الجنود لتحميهم من السهام والحراب عندما يريدون مهاجة حصن أو قلعة لفتحها.

والدبابات آلات راقية متطورة لم تستعملها فى تلك العصور إلا الجيوش الرومانية والفارسية لكونهما أرقى الجيوش تنظيما فى العالم آنذاك، ولا يستبعد أن يكون يهود خيبر قد جلبوها من الشام أو أنهم كانت لهم خبرة بصنعها فصنعوها محليا فى خيبر عندما شعروا بخطر الغزو الإسلامى، ويبدو أن يهود خيبر قد جهزوا هذه الآلات الهجومية ليستخدموها فى الهجوم على مدينة رسول الله ﷺ.

السماح لليهود بالبقاء فى خيبر لفلاحتها مقابل نصف المحصول :

تنفيذا لاتفاقية التسليم قرر النبى الخاتم ﷺ إجلاء اليهود عن خيبر، فلم يعارض اليهود فى ذلك، إلا أنهم تقدموا إلى الرحمة المهداة ﷺ بعرض طلبوا فيه أن يسمح لهم بالبقاء فى خيبر فى ظل حكم الإسلام، ليعملوا كأجراء فى أرض خيبر للعناية بمزارعها وبساتينها وتولى فلاحتها مقابل جزء من محصولها يعطى لهم ما يتفق عليه الطرفان.

وفى صحيح البخارى :

أعطى النبى ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها.

وقال ابن حزم فى جوامع السيرة :

وأقر النبى ﷺ اليهود على أن يعتملوها أى أرض خيبر بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما يخرج منها من زرع أو تمر، ويقرهم على ذلك ما بدا له، فبقوا على ذلك حتى مات خاتم الأنبياء ﷺ ومدة خلافة أبى بكر وجمهور خلافة عمر.

صاحب الخلق العظيم ﷺ يعيد التوراة إلى اليهود :

غنم المسلمون أكثر من ألف رمح، وأربعمائة سيف، ومنجنيقات، ودبابات، وخمسمائة قوس بجعابيبها - الجعبة : وعاء مستطيل توضع فيه السهام ويحمله النبال على ظهره ساعة الحرب - وغنموا كميات كبيرة من الذهب والفضة.

وعند إحصاء الغنائم وجد المسلمون من بينها **عدة أجزاء من التوراة** - كتاب اليهود المقدس - وقد طلب اليهود من صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يعيد إليهم هذه الصحائف من كتابهم، فاستجاب لطلبهم، وأمر بإعادتها إليهم فأعيدت.

ولعل فى إعادة صحائف التوراة إلى اليهود وخاصة فى ذلك العصر البرهان، وأعظم دليل على تسامح الإسلام وإطلاق الحريات لمن يخالفه فى العقيدة فى عصر بلغ التعصب الأعمى للدين والمذهب بين الأمم

الأخرى - كالرومان - إلى أن أباحوا لأنفسهم سفك دم الذين يخالفونهم فى المذهب داخل إطار الدين الواحد، كما فعل حكام دولة الروم البيزنطية بنصارى مصر، فكيف بمن يخالفهم فى جوهر الدين ذاته ؟

وأين تصرفات المسلمين الفاتحين المنتصرين المتسامحة بإطلاقهم الحريات لمخالفيهم فى الدين ليمارسوا شعائرهم فى ظل الدولة الإسلامية كما يريدون من تصرفات الصليبيين الذين أعماهم الحقد والتعصب ؟

فلم يكتفوا بمصادرة حرية المسلمين فى ممارسة شعائر دينهم، بل لجأوا إلى تخييرهم بين أمرين :

إما قتلهم وتحريقهم بالنار، وإما مفارقة دين الإسلام واعتناق النصرانية، كما حدث من الملك فيرديناند والملكة إيزابلا فى الأندلس - أسبانيا - عندما كتب لهم الغلبة على المسلمين هناك، فى مئات الآلاف من المسلمين، ولم تتوقف هذه المجازر الرهيبة إلا بعد أن أجبر كثير من المسلمين عل اعتناق النصرانية حفاظا على أرواحهم.

وكما حدث من الصليبيين - ريتشارد قلب الأسد - عندما ذبح ثلاثة آلاف مسلم من أسرى المسلمين بالرغم من إعطائهم الأمان عند استيلائه على بيت المقدس، وعندما استعادها منه صلاح الدين بقوة السلاح **لم يقتل أسيرا واحدا من الصليبيين.**

محاولة اغتيال إمام الخير ﷺ فى خيبر :

بعد أن عقد الرحمة المهداة ﷺ مع يهود خيبر اتفاقية المساقاة والمزارعة وأعطاهم الأمان، صار المسلمون يقعون فى حرثهم وبقلهم فشكت اليهود ذلك إلى صاحب الخلق العظيم ﷺ، **فأمر بعدم التعرض لليهود وأخذ أى شئ من زرعهم،** فامتثل المسلمون أمر خاتم الأنبياء ﷺ وصاروا لا يأخذون من ثمار الأراضى التى أعطيت لليهود **إلا بثمن.**

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وتمت السيطرة التامة للمسلمين على خيبر جرت محاولة شريرة لاغتيال حبيب الرحمن ﷺ، فقد عمدت امرأة

يهودية اسمها زينب بنت الحارث - زوجة سلام بن مشكم الذى قتل فى حصن النطاة - فسألت :

- أى أنواع اللحم أحب إلى النبى ﷺ ؟

فقيل لها :

- الذراع والكتف.

فعمدت زينب بنت الحارث إلى شاة فذبحتها واختارت أخطر نوع من أنواع السم يقال لـه : لابطى لا يلبث أن يقتـل متناولـه فى الحـال، ثم وضعته فى جميع أوصال الشاة، وأكثرت من هذا السم بصفة خاصة فى الذراعين.

ولما صلى الهادى البشير ﷺ المغرب وعاد إلى مقر قيادته فى خيبر وجد زينب بنت الحارث اليهودية جالسة عند رحله، فسألها :

- ما شأنك ؟

فقالت زينب اليهودية :

- يا أبا القاسم : هدية أهديتها لك.

فقبلها، وأمر بقبضها منها.

فقبضت ثم وضعت الشاة بين يديه ﷺ وكان معه بشر بن البراء بن معرور وبعض الصحابة فقال لهم :

- ادنوا فتعشوا.

فدنوا ومدوا أيديهم، وتناول النبى الخاتم ﷺ الذراع فانتهز منها نهشا، وازدرد لقمة، وتناول بشر بن البراء عظما فأكل منه لقمة أيضا.

وفجأة أمر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أصحابه أن يتوقفوا عن الأكل وقال :

- كفوا أيديكم فإن هذا الشاة تخبرنى أنها مسمومة.

فقال بشر بن البراء بن معرور:

- والذى أكرمك لقد وجدت ذلك من أكلتى التى أكلتها، فما منعنى أن ألفظها إلا **كراهية أن أنغص عليك طعامك**، فلما تسوغت ما فى يدك لم أرغب بنفسى عن نفسك.

أما بشر بن البراء فلم يقم من مكانه حتى تحول لونه أسود من شدة تأثير السم وظل **يعانى من وجعه طيلة سنة كاملة مشلولا حتى مات متأثرا بهذا السم.**

ولدى التحقيق مع زينب بنت الحارث اعترفت بأنها سمت الشاة قاصدة بذلك قتل النبى ﷺ، ولما سألها أبو القاسم ﷺ :

- ما حملك على ما صنعت ؟

قالت زينب اليهودية :

- لقد بلغت من قومى - يهود خيبر - ما لا يخفى عليك قتلت زوجى وأبى وعمى فقلت: إن كان نبيا فسيخبره الله، وإن كان ملكا استرحنا منه.

يقول حماد بن سلمة :

عفا رسول الله ﷺ بالنسبة لحقه الخاص، **غير أنه أمر بقتلها فيما بعد قصاصا** ببشر ابن البراء الذى مات متأثرا بذلك السم الذى دسته فى الشاة.

كيف صالح الصادق المصدوق ﷺ يهود فدك ؟:

اختلف المؤرخون فى كيفية استسلام يهود فدك للمسلمين.

فقيل :

إنهم صالحوا النبى ﷺ على أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الأموال.. ففعل.

وقيل :

إنهم عرضوا على النبى ﷺ أن يخرجوا من بلادهم ولا يكون للنبى ﷺ من الأموال شىء، وإذا كان جذاذها - قطع ثمار النخيل - جاءوا فجذوها.. فأبى أن يقبل ذلك.

وقيل :

بعد أن رفض أبو القاسم ﷺ عرض يهود فدك الأخير قرروا المقاومة، فقال لهم مبعوث النبى ﷺ محيصة بن مسعود :

- ما لكم منعة ولا رجال ولا حصون، لو بعث رسول الله ﷺ إليكم مائة رجل لساقوكم إليه.

فطلبوا الصلح.

فصالحهم صاحب الشفاعة ﷺ على أن لهم نصف الأرض بتربتها، ولرسول الله ﷺ نصفها.

قال الواقدى :

وهذا القول أثبت.

فتح وادى القرى :

يقع وادى القرى بين خيبر والمدينة، وهو واد خصب وبه مزارع عظيمة وعيون كثيرة، وكانت تقطنه - عند فتح خيبر - جماعة من اليهود على جانب لا يستهان من القوة، ولهذا فقد كانت هذه الجماعة من اليهود من بين الفئات اليهودية التى رفضت بعد فتح خيبر الاستسلام للمسلمين وقررت مقاومتهم بحد السلاح.

وكان يهود وادى القرى كيهود خيبر يمتنعون بقلاع وحصون حربية منيعة، كما أنهم استعانوا بجمع من الأعراب الوثنيين استعداداً لمواجهة المسلمين الذين كانوا فى طريقهم إلى وادى القرى من خيبر.

وقد انضم كثير من الأعراب الوثنيين إلى يهود وادى القرى واستعدوا جميعا لقتال المسلمين بمجرد وصولهم إلى وادى القرى.

وكانت العادة المتبعة لدى صاحب الخلق العظيم ﷺ أن لا يبدأ أحدا بالقتال حتى ينذر ويعذر ويعرض الإسلام، فإن أسلموا كف عنهم واعتبرهم جزءاً من الأسرة الإسلامية.

غير أن يهود وادى القرى لم يتركوا لنور الظلمة ﷺ فرصة توجيه الدعوة إليهم ليكف عن دمائهم، فبمجرد وصول الجيش الإسلامى إلى

وادى القرى وقبل أن يحط رحاله ويستعد للقتال **شن يهود وادى القرى الهجوم على المسلمين فقتلوا رجلا منهم** - مدعم مولى رسول الله ﷺ - أصابه سهم من سهام اليهود وهو يحط رحل أبى القاسم ﷺ.

عند ذلك هيأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم فكتب الكتائب ووزع الرايات على القادة من أصحابه لخوض المعركة.

فدفع لواءه إلى سيد الخزرج سعد بن عبادة، ودفع راية إلى الخباب بن المنذر، وراية لعباد بن بشر، وراية إلى سهل بن حنيف ليتولوا قيادة المحاربين.

ومع بداية يهود وادى القرى بالقتال لم يتعجل نور الظلمة ﷺ فى قتالهم بل حرصا على حقن الدماء رغبة منه فى هداية هؤلاء اليهود وجه إليهم الدعوة إلى الدخول فى الإسلام، وأكد لهم أنهم إن أسلموا سيحوزون أموالهم، وستحقن دماؤهم وحسابهم على الله.

ولكن السفهاء قد ركبهم الغرور كإخوانهم من قبل يهود بنى قريظة ويهود خيبر وكان جوابهم إشعال نار الحرب وسارعوا إلى القتال حيث خرج من حصونهم أحد فرسانهم وطلب المبارزة فبرز إليه الزبير بن العوام - حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب - فلم يمهله الزبير وقتله.

فخرج فارسان آخران، فبرز لهما أبو دجانة - سماك بن حرشة الأنصارى - فقتلهما الواحد بعد الآخر.

وظلت المبارزة مستمرة حتى قتل من يهود وادى القرى أحد عشر رجلا.

وقد استمر القتال بين المسلمين واليهود فى الوادى طوال اليوم حتى المساء.

وكان نبى الرحمة ﷺ كلما حضرته الصلاة صلى بأصحابه، وبعد كل يكرر توجيه الدعوة إلى يهود وادى القرى إلى الدخول فى الإسلام، ولكنهم يرفضون ويستمرون فى القتال.

استسلام يهود وادى القرى والبقاء فى الوادى:

فى اليوم التالى شن المسلمون على يهود وادى القرى هجوما عاما كاسحا

فلم ترتفع الشمس قيد ريح حتى أعلن السفهاء الاستسلام وأعطوا بأيديهم إلى المسلمين، **فتم فتح وادى القرى عنوة فغنمه المسلمون بأكمله.**

وقد عامل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يهود وادى القرى كما عامل يهود خيبر المغلوبين إلا أنه لم يقتل أحدا من أهل وادى القرى بعد الاستسلام، وقد سمح صاحب الخلق العظيم ﷺ ليهود وادى القرى بالبقاء فى الوادى، وترك النخل والأرض بأيديهم على أن يقوموا برعايتها واستصلاحها وزراعتها مقابل أن يأخذوا نصف المحصول منها كما فعل مع يهود خيبر.

وباستسلام يهود وادى القرى تم القضاء على أقوى جيب، من جيوب المقاومة اليهودية فى جزيرة العرب، كانت قد قاومت المسلمين بعد سقوط خيبر.

يهود تيماء يدفعون الجزية :

كانت تيماء الواقعة فى الركن الشمالى الغربى للجزيرة بها مجموعة من اليهود، وكانت بهم قوة لهم حصون فى قمم الجبال، وكان من المتوقع أن يبدوا شيئا من المقاومة.

إلا أنه لما بلغهم استسلام خيبر وفدك ثم وادى القرى للمسلمين، بعثوا من تلقاء أنفسهم إلى الذى نصره الله بالرعب ﷺ يطلبون الصلح ويعرضون دفع الجزية للمسلمين فقبل منهم صاحب الشفاعة ﷺ الجزية، وترك لهم ما بأيديهم من أموال فلم يستول المسلمون على شئ منها لأنهم يدفعون الجزية وأصبحوا أهل ذمة شأنهم غير شأن العدو المحارب الذى لم يستسلم إلا بعد قتال وحرب.

إجلاء اليهود فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

ظل اليهود فى خيبر وبأيديهم أرضها يعملون فيها طوال عهد الصادق المصدوق ﷺ وخلافة الخليفة الأول، إلى أن أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وذلك لأن اتفاقية المساقاة والمزارعة التى عقدها نبى الوفاء

ﷺ كانت تنص على أن من حق المسلمين إجلاءهم متى أرادوا.

وأن اليهود بالرغم من هزيمتهم فى خيبر ظلوا يتمتعون بكامل الحرية بعد السماح لهم بالعمل فى أراضى خيبر، **وبقيت روح التآمر والكيد والحقد والحسد للمسلمين تسيطر على نفوسهم الخبيثة الشريرة.**

فقد ارتكب السفهاء أعمالا ضد المسلمين تدل على أنهم لن يكفوا عن العداء والكيد والعمل ضد المسلمين، حتى وإن لم يعد لهم سلطان أو نفوذ فى خيبر.

وقد بدأوا بممارسة أعمال شريرة ضد المسلمين وخاتم الأنبياء ﷺ لا يزال على قيد الحياة ومن ذلك **أنهم قاموا باغتيال الصحابى الجليل عبد الله بن سهل** فى منطقة النطاة، وبالرغم من أن المقتول وجد جثته فى ديارهم، والقرائن تشير وتدل على أنهم ارتكبوا جريمة قتله، فإن صاحب الخلق العظيم ﷺ لم يعاقبهم لأن التحقيقات التى أجراها مع اليهود **لم تثبت إدانتهم من وجهة نظر القانون الإسلامى**، ولذلك أمر أبو **القاسم** ﷺ **بدفع دية القتيل من بيت مال المسلمين. غير أن اغتيال الصحابى الجليل عبد الله بن سهل ظل عالقا بأذهان المسئولين فى مدينة رسول الله** ﷺ **كقرينة من القرائن على إجرام اليهود.**

وفى عهد الفاروق كثرت مؤامرات ومحاولات الاغتيال والتخريب من قبل السفهاء فى خيبر، ومن ذلك أن الصحابى الجليل مظهر بن رافع الحارثى - شهد أحدا مع خاتم الأنبياء ﷺ وعاش إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - استقدم عشرة من نصارى الشام يعملون بأرضه، فأقبل حتى نزل بهم خيبر فأقام بها ثلاثة أيام، فجاء رجل من يهود وقال لهم :

- أنتم نصارى ونحن يهود، وهؤلاء قوم - يعنى المسلمين - قد قهرونا بالسيف، وأنتم عشرة رجال، أقبل واحد منهم يسوقكم من أرض الخمر والخير إلى الجهد والبؤس، وتكونون فى رق - عبودية - شديد، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه.

قالوا :

- ليس معنا سلاح.

فدس اليهودى إليهم سكينين أو ثلاثة، فخرجوا وقد اعتزموا تنفيذ ما فح فى آذانهم اليهودى الخبيث.

فلما وصلوا إلى ثبار - بكسر أوله وهو موضع على ستة أميال من خيبر - فى طريقهم إلى المدينة مع مظهر بن رافع الحارثى فقال لأحدهم :

- ناولنى كذا وكذا.

فأقبلوا إليه جميعهم قد شهروا سكاكينهم، فخرج مظهر يعدو إلى سيفه، ولكنهم بعجوا بطنه قبل أن يخرج سيفه من قرابه، وبعد أن قتلوه عادوا إلى خيبر فآواهم السفهاء وأخفوهم، ثم زودوهم وأعطوهم قوة فلحقوا بالشام.

الخليفة الثانى يأمر بإجلاء اليهود :

لما جاء خبر مقتل الصحابى الجليل مظهر بن رافع الحارثى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقف خطيبا فى مدينة رسول الله ﷺ وقال :

أيها الناس :

إن اليهود فعلوا بعبد الله - يعنى ابن عمر فقد اعتدى اليهود على عبد الله بن عمر وهو نائم فخلعوا يده، فلم يتخذ الفاروق ضدهم أى إجراء - ما فعلوا، وفعلوا بمظهر ابن رافع مع عدوتهم على عبد الله بن سهل فى عهد رسول الله ﷺ، لاشك أنهم أصحابه - أى مظهر بن رافع- ليس لنا عدو غيرهم، فمن كان بها - خيبر - مال فليخرج فأنا خارج فقاسم ما كان بها من الأموال وحاد حدودها ومؤرف أرفها - الأرف - جمع أرفة وهى الحدود والمعالم - ومجلى اليهود منها، فإن رسول الله ﷺ قال لهم :

- أقركم ما أقركم الله، وقد أذن الله فى جلائهم، إلا أن يأتى رجل منهم بعهد أو بينة من النبى ﷺ أنه أقره فأقره.

فقام الصحابى الجليل طلحة بن عبيد الله - صحابى جليل أحد العشرة المبشرين بالجنة - فقال :

- قد والله أصبت يا أمير المؤمنين ووفقت.

فتساءل الفاروق :

- من معك على مثل رأيك ؟

قال المهاجرون جميعا والأنصار :

- نحن يا أمير المؤمنين.

فسر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك.

وكان الفاروق مع ذلك بلغه عن السراج المنير ﷺ أنه قال وهو فى مرض موته.

- لا يجتمع بجزيرة العرب دينان.

فأرسل إلى سفهاء خيبر وفدك يخبرهم بأنه قرر إجلاءهم، إلا من كان عنده عهد من خاتم النبيين ﷺ، وبذلك نفذ الفاروق وصية أبى القاسم ﷺ وطرد السفهاء من جزيرة العرب.

تعويض يهود فدك عند الجلاء:

أجلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يهود خيبر جميعا، ويهود فدك - لأن فدك تعتبر من أرياض خيبر إذ لا تبعد عنها إلا عدة أميال -.

وقد أجلى الخليفة الثانى هؤلاء اليهود بعد أن سمح لهم باصطحاب جميع ما يملكون من أموال منقولة هذا بالنسبة لسفهاء خيبر، أما بالنسبة ليهود فدك فقد دفع لهم الفاروق **تعويضا عادلا عن نصف الأرض التى كانت بأيديهم** لأنها كانت لهم بموجب اتفاقية بينهم وبين الصادق المصدوق ﷺ.

أما يهود وادى القرى ويهود تيماء فلم يخرجهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الجزيرة العربية فهم أهل ذمة صالحوا المسلمين على دفع الجزية ولم يحاربوا.

* * * * * * * * *